20 me année No 1015
Le Caire 15 — 12 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

العدد ١٠١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٢ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فرنسا أم الحرية !

للأستاذ سيد قطب

هذه هى فرنسا .. أم الحرية .. كما يقول العبيد الكثيرون المنتشرون فى مصر والشرق العربى !

هذه هى فرنسا بلا تزويق ولا تنميق . فرنسا كما هى بدون هالات مزورة ولا دعايات براقة . فرنسا كما تصفها أعمالها ، لا كما تصفها الأقلام الخائنة ، والألسنة الخادعة ، أقلام العبيد ، وألسنة العبيد ، المنتشرين فى مصر والشرق العربى !

هذه هى فرنسا .. عصابة من قطاع الطرق .. عصابة متبربرة متوحشة ، تترصد للزعماء السياسيين فتقتلهم غيلة وغدرا ، وتمثل بجثثهم فى نذالة وخسة .. ثم تقف لتتبجح على ملأ من الدنيا كلها ، لأن هذه الجرائم مسألة داخلية لا يجوز أن يسألها أحد عنها !

هذه هى فرنسا تقف كاللبؤة ، فمها يقطر من دم الزعيم البطل « فرحات حشاد » ، والدنيا كلها ترقبها وهى تلغ فى الدم ولكنها لا تخجل ، لأن فرنسا « الحرة ! » قد ضيعت دم الحياء ، وهى تلغ فى دم الشهداء !

هذه هى فرنسا التى تهجد بذكراها ، وسبح بحمدها وصلى ، رجال ممن يقال عنهم أو عن بعضهم إنهم من قادة الفكر

ومنذ قرن وربع قرن ؛ وفرنسا تمثل مسرحيتها الوحشية هذه على مسرح الشمال الإفريقى ، منذ احتلالها للجزائر فى عام ١٨٣٠ . وفى خلال تمثيل هذه المسرحية البشعة كان العبيد ينشدون نشيدهم الدائم باسم فرنسا . فرنسا حامية الحرية

وفرنسا تكرم هؤلاء العبيد الذين يخدعون شعوبهم ، ويخونون أوطانهم ، ويخدرون جماهيرهم ، ويمسحون عن فم فرنسا القذر آثار الدماء . . ومن العجيب أننا نحن أيضا كنا نكرمهم كما كرمتهم فرنسا ؛ ونرفع أقدارهم كلما رفعتها فرنسا ، ونهيئ لهم المناصب والمراكز ، التى تمكنهم من خدمة أمهم فرنسا !

ونبحث اليوم عن هؤلاء العبيد . من قادة الفكر ، نبحث عنهم ليقولوا كلمة واحدة عن الجريمة الوحشية الجديدة ، فلا نجد لهم أثرا . لا يثور ضمير واحد منهم فيقول كلمة . ولا يرتعش قلب واحد منهم أمام الجثة المشوهة المعالم . جثة البطل الذى جبنت فرنسا عن مواجهته ، فقتلته غيلة وغدرا !

* * *

إن جريمة فرنسا الجديدة هى جريمة الضمير الغربى كله ففرنسا لا ترتكب جرائمها إلا وهى مسنودة الظهر بالمعسكر الغربى . لا ترتكبها إلا وهى تستند إلى إنجلترا وإلى أمريكا

إن الضمير الغربى كله ، بكل ما فيه من وحشية عميقة الجذور . ، ليتمثل بوضوح فى تلك الجريمة . إنها جريمة الديمقراطية ، جريمة « العالم الحر » . جريمة الحضارة التى يدعونا العبيد الكثيرون المنتشرون فى مصر والشرق العربى ، من قادة الفكر

أن نترك عقائدنا وتقاليدنا وتاريخنا وأمجادنا ، ائلهث وراءها ، كيما نرتقي ونتحضر ، ونلحق بركب العالم المتحضر ! العالم الذي يقتل الزعماء الوطنيين غيلة وغدرا ، ويمثل بجثثهم في نذالة وخسة !

إن هذا الضمير الذي أوحى لفرنسا بأن تقتل الزعيم التونسي وتمثل بجثته ، لهوذات الضمير الذي أوحى إلى إنجلترا أن تلقى بالجرحى من الفدائيين في القنال ، إلى الكلاب المتوحشة لتنهشهم وهم بعد أحياء ، لا يملكون دفعها عن أجسادهم لأنهم جرحى

وهو ذاته الضمير الذي شاهدته بعيني في أمريكا . والبيض يتجمعون على شاب زنجي بمفرده ، ليضربوه ويركلوه ويدهسوه بكعوب نعالهم حتى يخلطوا عظمه بلحمه ، في الطريق العام ، والبوليس لا يحضر أبدا إلا بعد إتمام الجريمة وتفرق الجماهير المتوحشة الهائجة كوحوش الغابة

إنه هو هو ضمير العالم المتحضر . العالم الذي تسبح بحمده أقلام خائنة ، وألسنة خادعة . ومن بين هذه الأقلام أقلام قادة الفكر ، ونحن يبلاهة منقطعة النظير نصفق للخونة ونهتف للخادعين ، ونرفعهم مكانا عليا .. ونهيئ لهم المناصب والمراكز التي يتمكنون بها من تنفيذ جريمة الخداع والخيانة !

***

ولدينا في مصر والشرق من عبيد فرنسا من يقولون لنا : لا تكتبوا هكذا ، لئلا نخسر صداقة فرنسا . ونحن - كمصريين - لا بد أن نلاحظ مصالحنا القومية ، وألا نندفع مع حماسة العاطفة !

إلى هؤلاء العبيد أوجه سؤالي : متى كانت فرنسا صديقتنا ؟ متى وقفت في صفنا مرة واحدة في التاريخ كله ؟ وفي أي مظهر من المظاهر تمثلت لنا صداقة فرنسا ؟

فرنسا هي التي قادت الحملات الصليبية على الشرق العربي منذ تسعة قرون ، وكانت جيوشها الصليبية أشد جيوش الصليبيين ضراوة وإجراما وفتكا

وفرنسا هي التي خانت مصر في قناة السويس ، فاستغفلت « محمد سعيد » والى مصر بطبق من « المكرونة » بواسطة ديلسبس المحتال الذي تحتفظ مصر بتمثاله على مدخل قناة السويس إلى هذه اللحظة . وسرقت ملكية القناة من مصر ، وقد أنشأتها في أرضها بمالها وعمالها ونصيبها من الربح ، وحقها في الإشراف . وهي تعمل اليوم جاهدة لإتمام سرقة القناة في نهاية مدة الامتياز بوسائل شتى

وفرنسا هي التي خانت عرابي ، ومهدت للاحتلال الإنجليزي؛ ومعركة التل الكبير ما كانت لتتم لولا خيانة ديلسبس لعرابي . وما كانت الجيوش الإنجليزية بقادرة على هزيمة مصر في معارك تقع من الغرب في الدلتا . ولكن الخيانة الفرنسية قد آتت ثمارها وما زلنا نملك هذه الثمرة المرة حتى يومنا هذا

وفرنسا هي التي قاومت كل المقاومة إلغاء الامتيازات في مؤتمر مونتريه وعرقلت جهود مصر في إزالة آثارها النهائية . وكانت تمضى على هذه الامتيازات بعنف ، فلا تدعها تفلت إلا بعد معارك حامية في المؤتمر لا تزال نذكرها

وفرنسا هي التي وقفت تسند إنجلترا بعنف في مجلس الأمن ضدنا . وكان لسان مندوبها في المجلس هو أقسى الألسنة علينا . وقد تجاوز حد الجدل السياسي إلى الوقاحة والسباب والتهكم . وهذه محاضر مجلس الأمن بخصوص قضية مصر القومية الكبرى تشهد بمدى « صداقة » فرنسا !

وفرنسا هي التي تحارب ثقافتنا وكتبنا وصحافتنا في الشمال الإفريقي كله . ولقد عجز الدكتور طه حسين وهو في وزارة المعارف — وهو أصدق أصدقاء فرنسا — أن يفتتح معهدا لمصر في الجزائر . أو حتى في طنجة التي تحكم دوليا بسبب تعصب الصديقة الكبرى فرنسا !

وفرنسا هي التي تحارب جلاء الجيوش الإنجليزية الآن عن مصر ، وتكافح كل حركات التحرر — لا في الشرق العربي وحده ، بل كذلك في جميع أطراف الدنيا — ومع هذا كله فإن فرنسا هي حامية الحرية الكبرى !

هذه هي صفحة « صداقة فرنسا » فأي سطر فيها هو الذي نخشى أن نشوهه أو أن نطمسه . ومتى وأين وكيف كانت هذه الصداقة التي نخشى عليها ؟ !

***

وبعد فإن الكلمات لم تعد تجدى .. إنه لا بد من إجراء

الاسلام دين الفطرة والحرية

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

رحم الله الأستاذ عبد العزيز جاويش فقد أمضى عمره مكافحا دون وطنه ودون دينه . وخرج من الدنيا كما خرج المجاهدون أمثاله من غير نسب ولا جاه ولا مال . وحسبه من مجد الدنيا وزخرفها أن يذكره الناس من بعده بكل خير وجمال ومعروف ، وأن يبعثوا إليه فى متواه الأخير بتحيات عاطرة خارجة عن حدود المادة وحدود الضرورة ، إنما هى تحية روح إلى روح ، جزاء ماقدم للدين والوطن من نفسه وماله ونشاطه

لم تكن حياة هذا البطل المجاهد سهلة ولا ميسرة ، وهو لم يرد أن يقنع فى حياته هذه بما يسر لكثير من الناس ، فيرضى به ، ويقبل عليه ، ولا يرى بأسا فى الركون إليه ولو إلى حين ، فيكفى نفسه مشقة الجهد والبذل والدءوب . بل أرادها حياة واسعة فى مجال واسع ، حتى يستشعر لذتها وبهجتها ، كما ضرب هنا وهناك فى فجاج الأرض وأقطار المعمورة ، وكما جرد قلمه منافحا عن وطنه الذى ذل تحت أقدام المستعمرين . وكما سود الصحائف فى تبيان أهداف دينه وأغراض الدعوة الإسلامية المباركة

وما كان الإنجليز ليرضوا عن هذا الوطنى الحر والتدين عميق الإيمان ، فطاردوه من مكان إلى مكان . وكانوا وراء كل محاولة لإبدائه أو إعناته أو إخراجه من وطنه مصر . ولذلك لم يكد يستقر به المقام فى هذه البلاد . فكان دائما يضطر إلى الاضطراب فى بقاع أخرى من العالم ، يجاهد فيها فى سبيل وطنه ودينه ما أتيحت له الأسباب والوسائل ، فإذا ماسنحت فرصة لرجوعه إلى الديار مرة أخرى ، رجع غير محس ضجرا ولا خوفا ولا ضعفا ، واستأنف جهاده الذى لاينقطع إن فى مصر وإن فى غيرها ، وعاد إلى التحرير والكتابة فى الصحف التى كانت ترحب بما يكتب وتفسح له فى صفحاتها مكانا محمودا

وقد رأس عبد العزيز جاويش تحرير (اللواء) بعد مصطفى كامل ، وأخرج مجلة (الهداية) لإفهام المسلمين أسرار القرآن وهو فى مصر ، ولما أبعد إلى تركيا أعاد إصدار هذه المجلة ، وأصدر مجلة (الهلال العثمانى) ومجلة (الحق يعلو)

وقد حوكم أكثر من مرة بسبب مقالاته الوطنية اللاذعة فى اللواء ، كمقاله (دنشواى أخرى فى السودان) ، وكمقاله (ذكرى دنشواى) ، وكمقدمته لكتاب (وطنيتى) الذى وضعه على الناياتى

واشتغل بعض الوقت بالتعليم . وتولى منصب المفتش الأول للغة العربية . وكان أستاذا للعربية بجامعة أكسفورد . وعين مراقبا عاما للتعليم الأولى وأدخل عليه إصلاحات كثيرة ، ووضع أساس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأعاد إصلاح كلية

يتخذه كل بلد عربى — بل كل بلد إسلامى — لكفاح فرنسا . وكفاح العالم الاستعمارى الذى يسندها

وأول إجراء فى نظرى يجب أن يتخذ هو إقصاء المسبحين بحمد هذا العالم من حياتنا الفكرية والشعورية . إن لم يمكن إقصاؤهم من حياتنا السياسية والاقتصادية . لأن قوى الاستعمار تسندهم ، وتمكن لهم فى وظائف الدولة وفى الأسواق ودوائر الأعمال

إنه لا بد أن نتحرر فكريا وشعوريا من عبادة «العالم الحر» . العالم المتحضر ، العالم الذى يغتال الزعماء ، ويمثل بجثثهم فى نذالة . والذى يلقى بالجرحى إلى الكلاب المتوحشة لتنهشها . والذى يتجمع كالوحوش الهائجة على شاب ملون فلا يتركه حتى والدماء الغزيرة تتفجر من فمه وأنفه ورأسه

وحين تتحرر مشاعرنا من عبادة هذا العالم المتعفن . وحين تتجمع أحقادنا المقدسة ضد هذا العالم ، حين نمسى ونصبح وهذه الأحقاد المقدسة تغلى فى عروقنا .. حينئذ سنعرف كيف نتخلص من العبودية . إن عبودية الضمير هى التى تخضعنا . فلنتحرر منها أولا ، ولنخرس كل صوت ، ولنكسر كل قلم يحدثنا حديث العبيد ، العبيد الكثيرين المنتشرين فى مصر والعالم العربى

سيد قطب

صلاح الدين بالقدس الشريف وعهد إليه بإدارتها

وأسهم فى جميع التبرعات وإرسال الأسلحة وتهريب القواد الأتراك إلى طرابلس لمقاومة الغزو الإيطالى . وحين أعدت قوة من الجيش التركى فى سنة ١٩١٥ لتخليص مصر من الاحتلال الإنجليزى اشترك فيها

وإذا ضاقت به مصر خرج إلى تركية أو ألمانية أو سويسرة وأصدر مجلة (العالم الإسلامى) الوطنية فى تركية . وأصدر مجلة فى سويسرة ومجلة فى ألمانيا .

من هذا ترى أن الرجل كان شعلة من النشاط الدافق . وكان نشاطه منوعا فحينا يكتب فى الصحف . وحينا يصدر المجلات بلغات مختلفة . وحينا يجمع التبرعات ويسهم فى تحرير الوطن الإسلامى من الغزو الأجنبى . وحينا يصلح برامج التعليم ويشرف على بعض فروعه ونواحيه . وحينا يكتب محررا وطنه صابا لعناته على المستعمرين وأعوانهم . وحينا يكتب مدافعا عن الإسلام شارحا دعوته مبددا للشبهات التى يثيرها أعداؤه . وهو حينا فى مصر . وحينا آخر فى تركية أو ألمانية أو سويسرة أو إنجلترة وكان يوجه كل هذا النشاط إلى الخير ، لا يألو فى ذلك جهدا ، ولا يرى بابا إلا طرقه ، غير طامع فى منصب أو مال أو جاه

وفى الحق أن الأستاذ عبد العزيز جاويش كان من الأبطال المجاهدين ، الذين أخلصوا لله وللوطن من غير أن يعلنوا عن أنفسهم وجهادهم ، ومن غير أن يطلبوا على مافعلوا أجرا ولا جزاء ، حتى تخطاهم إلى الظفر والفوز كل مهرج دعى أفاق

وكتاب (الإسلام دين الفطرة والحرية) الذى ألفه الأستاذ عبد العزيز جاويش يتفق وطبيعة مؤلفه الكافحة . فالمؤلف لم يرض بالذل ولا بالاستعمار ولا بالخنوع ، ولم يرض بالقيود التى تعوق الإنسان عن أداء رسالته التى تؤهله لها فطرته ، فهب مناديا بالتحرر من الاستعمار والجهل والطواغيت . والكتاب كذلك لم يرض بالظلم الواقع على الإسلام ، ولا بالدعاوى الفارغة التى يتهم بها زورا ، ولا بالتقليد الذى حد من قدرة المسلمين وجعلهم آلات من غير وعى ولا إدراك ، فكان هو الآخر صوتا ناطقا بما للاسلام من حق مجحود ، وبما له من ميزات سامية تحمل الناس فى رفق على العدل والإنصاف والحرية والكرامة

ولكى نفهم قيمة هذا الكتاب ، وهو كتاب قيم لامراء ، يجب أن نعرف أن الفترة التى كتب فيها هى الفترة التى كان الاستعمار يطرق بمطارقه الآثمة كل معاقل الحرية والأمان والنور فى مصر . كان يحاول أن يشككنا فى قدرتنا ، وفى اقتصادياتنا ، وفى علمنا ، وفى ديننا ، وفى معنوياتنا التى نستند إليها فى الظروف العصيبة والمحن الملمة . وكان هذا ، ليخلو له وجه البلد ، فيصنع مايشاء ، ويوجهه إلى حيث يريد . وكان يتابعه فى ذلك كثير من أبناء الوطن من المسلمين وغيرهم . وكان هو يعتمد على هؤلاء المشايعين له فى تحقيق أغراضه وإذلال البلاد وإعناتها ، ممثلا ذلك فى زعمائها الأحرار ، ودينها ، وأخلاقها ، ومواردها كلها . وفى ذلك الحين شن المستعمرون والمبشرون والمقلدون من المسلمين على الإسلام حربا واسعة . واتهموه بكثير من الاتهامات الباطلة ، فألقوا فى قلوب المسلمين وعقولهم أن الإسلام لم يعد يصلح أساسا لحياة أمة حرية بالتقدير والاحترام . ولم يكن المسلمون الأكفاء ليرضيهم هذا التجديف فوقفوا له واعترضوا طريقه . وقفوا فى وجه الاستعمار ، وفى وجه المبشرين ، وفى وجه المقلدين من أبناء الإسلام ، وفى وجه الجهل بشؤون الدين وشؤون الحياة عامة

قيل إن الإسلام انتشر بالسيف ولم ينتشر بالحجة والاقتناع ، وقيل إن الإسلام أباح للمسلم أن يعمد إلى الطلاق ليتخلص من زوجته دون قيد ولا شرط . وقيل إن الإسلام رضى عن الرق وأباحه . وقيل إن نبى الإسلام لم يكن إنسانا سويا حين تزوج كثيراً من النساء ، وحين تزوج امرأة زيد بعد طلاقها . وهذه كلها موضوعات دار حولها البحث ، وعرضها كتاب (الإسلام دين الفطرة والحرية) عرضا مفيدا ، وأبان عن وجهة الإسلام فى هذا كله ، وأظهر الناس على حقائق الأمور فيما يتعلق بعدل الإسلام وإنصافه وحكمته ومراعاته صالح الأفراد والجماعات فى كل قوانينه وأصوله ، فلم يكن دينا إباحيا ولا ظالما ولا قاهرا بالسيف ولا غابنا الإنسان حقه وحريته .

وإذا كان للصليبيين والاستعماريين عذر فيما يدعون ، فإنه لاعذر للمسلمين الذين طمس الجهل والغرور على عيونهم وبصائرهم ،

والذين يجرون وراء الأوربيين متابعين لهم فيما يرون من رأى ويصطنعون من مذهب . وقد جدف علماء المسلمين كثيرا فى تفسير القرآن ، وفى تأويل الحديث ، وفى الفهم عن موارد الإسلام النقية ، حتى كانوا — من حيث يعلمون أو لا يعلمون — عونا لأعداء الدين ، بل كانوا أشد إيذاء له وتكديراً لصفوه ، فاتخذت أقوالهم وأعمالهم حجة على الإسلام لا حجة له « إن النقائص التى مثلت بالإسلام فى أعين غير أهله ، إنما نشأت من اعتبار أعمال الخلف الصالح ، ميزانا لتقدير قوانين الشرع ونواميسه ، فمن قائل بسد باب الاجتهاد ، ومن إمام أو خليفة قضت عليه أغراضه البهيمية أن ينتهك حرمات الله ، ثم يحارب الله فينسب إليه ما ليس من دينه فى شىء ، ومن عالم اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فأفتى بما يطابق أهواء ملك أو أمير تذرعا إلى الزلفى منه ، ومن أحمق أرعن لم يرض من اليسر ما رضى الله لعباده فشط بالناس واعتسف بهم ، حتى ضاقت نفوسهم ، وأيقنوا بالعجز عن احتمال تكاليف الدين فانقطعوا عنه ظانين بالدين الظنون »

والدعوة الإسلامية دعوة تهذيبية اجتماعية إصلاحية . ولكن كثيرا من المسلمين لم يرموا إلى هذه الغاية فى تفسيرهم القرآن الكريم ، ففسروه على وجوه مختلفة ، لا على هذا الوجه الذى يؤدى إلى غايته الرفيعة . منهم من فسره تفسيرا علميا فلسفيا مستوحيا الحقائق العلمية والنظريات الفلسفية . ومنهم من حشاه بالإسرائيليات التى لا تغنى كثيرا ولا قليلا . ومنهم من عنى بالنكات البلاغية والفوائد النحوية . ومنهم من جعل للقرآن ظاهرا وباطنا ، فالظاهر للعوام ، والباطن للخواص ، مع أنه قرآن عربى صريح واضح . ومنهم من أول بعض الآيات تأويلا سيئا يصرفها عن غرضها الذى سيقت له إلى أغراض أخرى ليست من الإسلام فى شىء

هذه الجهود المختلفة فى تفسير القرآن ، لم تكن على بصيرة من هدف الدعوة الإسلامية ، ولم تكن تستقى من منابع الإسلام الصافية ، ولذلك ضلت الطريق السوى فى خدمة الإسلام والمسلمين ولو أنفق المسلمون جهودهم فى الاستنارة البصيرة ، والاجتهاد القويم ، وشرح أهداف الإسلام كما رسمها القرآن والحديث ، لما كانت هذه الدعاوى المزورة التى يقصد بها الإزراء على الإسلام وعلى نبيه وعلى مبادئه وغاياته

إن الإسلام يجل الحرية . ذلك لأن أنسامها تنفس عن الصدور والعقول والأفئدة ، وترق بالإنسانية مصعدة فى مدارج الكمال ، وتضفى على أعمال الإنسان وأقواله وأفكاره وشاح الشخصية الأصيلة . وقد بسط الأستاذ عبد العزيز جاويش موقف الإسلام من الحرية بسطا رائعا لا يخلو من تعمق وفهم لأسرار الشريعة الغراء . وهو يستدعيك إلى التسليم بما يقول حتى فيما يرى من رأى مخالف لرأى جمهور العلماء . وهذا الخلاف نفسه يجعلك تؤمن بأن الرجل نقى السريرة لا يرمى إلا إلى عزة الإسلام والمسلمين

لم يقصر الإسلام فى ذات الحرية ، بل دعا إليها ، وجعلها أساسا لبناء المجتمعات وصيانة الأفراد ، وأنحى على المقلدين باللوم العنيف ، وراح يجأر بالدعوة إلى التفكر والتدبر ، دون متابعة لرأى موروث أو فكرة بذاتها ، وقرر أن الذين لا يستخدمون أبصارهم ومسامعهم وقلوبهم فيما خلقت له هم كالأنعام بل أضل « ألهم قلوب لا يفقهون بها ، أم لهم أعين لا يبصرون بها ، أم لهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وأكثر من هذا أن الإسلام لم ير الإكراه فى العقيدة ، بل ترك الحرية لكل إنسان يختار من العقائد والمبادئ ما يشاء « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

وإذا كان لا إكراه فى الدين ، ولا إكراه على اتباع عقيدة معينة ، فلم أباح المسلمون قتل المرتد ؟ ولم شنوا هذه الحروب فى صدر الإسلام على الذين شقوا عصا الطاعة وكفروا بالدين أو ببعض مبادئه ؟ وهنا نجد الأستاذ عبد العزيز جاويش يجيب فى صراحة تامة أن المرتد نوعان : نوع ارتد عن الإسلام أو بعض مبادئه من غير أن يعلن حربا أو يساند عدوا أو يدل على عورة فى الجبهة الإسلامية ، وهذا لا يجوز قتله ، لأن آيات القرآن الكريم لم تشرع حكما يجوز أن نؤاخذهم على أسابه ، بل إن الإسلام يرى عدم الإكراه فى العقيدة ولا على اتباع فكرة بعينها ولو كان هو هذه العقيدة أو تلك الفكرة . ونوع ارتد عن الدين ، وصار حربا

عليه ، وأعان الكفار على المسلمين، ودل على مواطن الضعف فيهم وهذا يقتل ويحارب ، لأن الشرائع المنزلة والوضعية قبل الإسلام وبعده أباحت قتل المحارب واتخذته عـدوا . أما الذى حدث على عهد الخليفة أبى بكر ، من قتل المرتدين ولو لم يحاربوا ، فرجع ذلك إلى أن الإسلام كان فى أول عهده ضعيفـا يخشى الانتقاض عليه والإيقاع به ، ولذلك قتل كل خارج عليه بعد أن اعتنقه ، حتى يأمن على نفسه فى أول أمره

وقد حمل الإسلام الزنادقة على حكم المرتدين . فالزنادقة قتلوا فى أول الأمر زمن على بن أبى طالب ، لأن الإسلام كان يخشى الدسائس ، وكان يعمل على أن يؤمن حياته وحياة أتباعه فى هذه الفترة الأولى من حياته . أما بعد أن آمن ، وقوى ، واشتد ، ولم يعد يخشى المكائد ولا الانتقاض ، فلا يجوز أن يقتل الزنديق ، كما لا يجوز أن يقتل المرتد ، وإن كانا ينصحان ويستتابان أبدا ، عملا بمبدإ الحرية الذى أقره الإسلام وحماه ودعاه إليه

والإسلام لا يخشى العلوم المختلفة ولا المعارف الكونيـة . وهو الذى وسع فلسفة اليونان وحكمة الهنود ومعارف الفرس . ودفع المسلم إلى استقبال العلم من مشارق الأرض ومغاربها ، عن المسلمين وعن غيرهم ، لأن العلم الصحيح لا وطن له ، ولأن العلم الصحيح من الحقائق الكونية التى لا تبدل ، ولأن الحرية أصل كريم فى الحياة الإسلامية « لذلك كان شأن القرآن إزاء العلوم ، وقد كان من موضوعاتها العلوم العقليات من الرياضية والطبيعيات وما وراء الطبيعة ، فهو الذى قام بالدعوة إليها ، والترغيب فى البحث عن دقائقها وأسرارهـا ، وهو الذى ببركته وجد بين المؤمنين آلاف من أمثال : الكندى ، ومحمد بن موسى الخوارزمى ، ويحيى ابن أبى منصور ، والعباس بن سعيـد الجوهرى وأحمد بن كثير الفرغانى ، وجعفر بن محمد البلخى ، ونصير الدين الطوسى ، وثابت ابن قرة ، وعمر الخيام ، وابن سينا ، وابن رشد ، وأبى الحسن ابن الهيثم ، وأشبـاه هؤلاء من فطاحل العلوم الرياضية والطبيعية والأثقال والموسيقى وغيرها »

لم يكن الإسلام إلا دينا حرا ، يرعى العقل ويحترمه ، ولا يميل إلى إلزام أحد شيئا . فهو واسع العلوم المختلفة والفلسفات المتباينة ، وهو لا يقتل المرتد المسالم ولا الزنديق الذى يهـادنه ، وهو ندد بالمقلدين ودعا إلى التفكر والتدبر وإلى العلم الصحيح والنظر السليم.

وأنت تعلم أن الكفار فى أول العهد بالدعوة المحمدية قد طلبوا من النبى — على سبيل التحدى والتعجيز والمشاقة — معجزات كونية ، كأن يأتى بالله والملائكة قبيلا ، وكأن يرقى فى السماء ولن يؤمنوا لرقيه حتى ينزل عليه كتاب يشهد بصدقه ورسالتـه ، وكأن يكون له بيت من زخرف وجنات من نخيل وعنب قد فجرت الأنهار خلالها تفجيرا . وأنت تعلم أن النبى لم يجبهم إلى هـذا ، لأنهم يعجزونه ، ولأنهم لن يؤمنوا مهما أتوا من المعجزات ، ولأن الإسلام لا يريد أن يكبتهم ويحملهم على اعتناقه والإيمـان به ، إذ هو دين الحرية والاختيار الخالص . ولـكن كيف يكون ظهور المعجزة إلزاما وحملا للمشركين على الإسلام ؟

الحقيقة التى جرت عليها السنة الإلهية فى الأمم السابقة ، أن الأمة من الأمم إذا طلبت معجزة وحققت لهـا هذه المعجزة ، ولم تؤمن بها وتنزل على مقتضاها ، عجل الله لها الخسف والعـذاب والإبادة . ومعنى هذا أن الأمة كانت بمنطوق المعجزة ومفهومهـا تحمل النـاس على الإيمان برسالة الرسول الذى ظهرت على يديه ، وإلا فالعقـاب والإهلاك . أما الإسلام ، فلأنه دين الحرية الذى لا إلزام فيه ولا حمل ، ولأن المعجزة الكونية كان يتبعها الإيمان أو العذاب — فلم يستجب إلى ماطلبه المشركون من هذه المعجزات الكونية ، حتى لا يكون ثمة حمل على الإيمان به ولا إلزام للمشركين أن يتبعوه

هل لنا أن نعرف وجوه الجمال فى هذا الدين التى كثر ما أغضينا عنها ! وهل لنا أن نعرف المجاهدين الأبرار الذين أنفقوا أعمارهم وحيـويتهم فى سبيل الدين والوطن ! وهل آن أن ترجع الحقوق المهضومة إلى أصحابهـا فيتسنموا الذروة اللائقة بهم ! إن الدين قد أساء إليه أبناؤه المرتزقون ، وإن الوطن قد غلب على أمره بفعل المهرجين أدعيـاء الوطنية ، وها نحن أولاء الآن فى عهد بوادر الكرامة والعدل والحرية ، وما أظن هـذا العهد يحرم المخلصين جزاءهم ، ويجحدهم فضلهم ، بل يرفعهم إلى مكانهم فى الخالدين — الأحياء منهم والأموات سواء

محمود عبد العزيز محرم

من سير الخالدين

حيـــــاة المازنى *

للأستاذ محمد محمود حمدان

(قل بين الصبيان من اتفق له ما اتفق لى من التجارب) « المازنى »

— ٣ —

بداية السقوط

انتهى المازنى من مرحلة الدراسة الثانوية . وبقى عليه أن يختار لنفسه الاتجاه الذى يؤثره فى المرحلة النهائية . وقد اختار مدرسة الطب ، لأنها كانت المجال الذى آثره غير واحد من ذوى قرابته ، ولأن « مصروفاتها المدرسية » كانت مما يدخل فى طوقه ، « . . ولكن ناظرها الدكتور كيتنج رمى لى بأوراق فى الشارع ، لأنى يوم الكشف الطبى دخلت قاعة التشريح فرأيت جثة منتفخة تفوح منها رائحة نتن خبيث ، فدار رأسى وأغمى على »

وطرق باب مدرسة الحقوق وهى أقرب إلى ملكاته ، وكانت نفقاتها كذلك مما يقدر عليه . على أنه لم يكد يتقدم إليها حتى ضوعفت « مصروفاتها » فارتد عنها حائراً لايعرف إلى أين يصير

وكان القدر ينسج بعض خيوط هذه الحياة المضطربة ، حياة المازنى ، حين أعلن فى ذلك العام افتتاح مدرسة المعلمين العليا . وعرف المازنى أن التعليم فيها بالمجان ، وأن مدة الدراسة سنتان ، بل إنهـا ، فوق ذلك ، تمنح تلاميـذها مكافآت شهرية يسيرة ولكن لابأس بها فى ذلك الحين . واجتذبت المازنى كل هذه المزايا إلى المدرسة ، فألقى فيها بنفسه ، على كره ، بعد أن ردته الطب والحقوق

وفى مدرسة المعلمين لم تكن مواد الدراسة كثيرة ولا البرامج طويلة ، ولا تخصص فيها

ويقول الأستاذ العقاد « كان الطالب فى تلك المدرسة يستعد لتدريس الرياضة والجغرافية أو التاريخ فى الوقت الواحد . . فأوحت سليقة الأدب إلى هذا الطالب الجديد على المدرسة أن يهدى أساتذتها إلى التفرقة بين ملكات العلوم وملكات الآداب ، فقد أضرب عن تعليم الرياضة ، بل أضرب — كما قال لى — عن فهمها ومذاكرتها . وذهب مع زملائه مرة فى زيارة من زيارات التدريب التى تمتحن فيها خبرة المعلم الناشىء بصناعته ، فكان زملاؤه يختارون درساً فى الحساب أو درساً فى الجبر أو درساً فى تقويم البلدان ، وأبى هو إلا أن يختار لدرسه أبياتاً من الشعر العربى ، يشرحها على طريقته ، ويتكلم عن ناظمها ، ويبين فى سياق شرحها مزايا الشعر العربى بالقياس إلى أشعار الأمم الأخرى »

واستطاع طلبة الدفعة الأولى بالمدرسة — وكانوا سبعة وعشرين طالباً ليس إلا ، أصغرهم سنا صاحبنا المازنى — أن يقفوا أوقات فراغهم ، فى المدرسة ، على المطالعة الخاصة . وكانت لهم فى الأسبوع ثمانى ساعات لايتلقون فيها أى درس . ووجدوا الحث والتوجيه والتشجيع من الناظر والأساتذة . ويقول المازنى عن ناظر المدرسة الإنجليزى لذلك العهد ، الدكتور دلينى ، أنه كان عالماً واسع الاطلاع ، « فكان إذا رآنى أستعير كتاباً من مكتبة المدرسة يعدنى بأنه يعيرنى كتابا من عنده فى موضوعه . وينجز وعده ، ثم يتركنى أياماً ، حتى إذا لقينى مصادفة فى فترة من فترات الاستراحة بين الدروس ، أقبل على وراح يحدثنى عن الكتابين ، دون أن يسألنى عنهما ، أو عما قرأت منهما ، ثم يمضى عنى . فكان هذا يضطرنى إلى العكوف على الكتب وكانت هذه إحدى وسائله لتشجيعنا على القراءة والاطلاع »

ومن المحامد التى تذكر لمدرسة المعلمين ، ولناظرها الدكتور دلينى على التخصيص ، أنه كان أول من ثنى عنان الاهتمام فى نفوس تلاميذه نحو طائفة من أدباء الإنجليز ونقادهم من أمثال ماكولى وكارليل وهازلت ولى هنت . فشاعت كتبهم بين ناشئة ذلك الجيل وساعدت على تنوير الأذهان وتحويلها إلى معنى الأدب الصحيح

ولا ريب أن مالـه المازنى من هذه الروح قد شحذ فيه موهبته الأدبية ، فأقبـل على الدرس والقراءة والتحصيل ، وحفزه الجو

الذى كان يضطرب فيه ويمتلئ بهوائه كلتا رئتيه ، إلى المثابرة والتوفر على ثمار القرائح فى شتى الآداب . وكان من زملائه فى المدرسة من له مثل ميله إلى الأدب والكتابة فاتصل بهم ، وعرف منهم فى ذلك الحين الطالبين محمد السباعى وعبد الرحمن شكرى ، وكان كلاهما واسع الاطلاع على الأدبين العربى والإنجليزى . وقد أخرج شكرى الجزء الأول من ديوانه وهو بعد طالب بالسنة الأولى وكان له فى الوسط الأدبى ضجة كما كان السباعى يكتب فى « الجريدة » . . وكان هذا بمثابة الدافع والحافز للمازنى ، فمالج الكتابة والشعر ، وبدأ ينشر فى الصحف منذ عام ١٩٠٧ . وتوثقت الصلة بينه وبين شكرى ، أو كما يقول « فصار أستاذى وهو زميلى ، وكان يتقصى التوجيه فتولاه شكرى »

ووسع المازنى ، وهو طالب بعد ، أن يقتنى حاجته من الكتب .. « وكان موظفو مكتبة « ديمر » يعرفوننى ويأتمنوننى لكثرة ما أشترى منهم ، وهو فى كل شهر فوق الكفاية لشهور . ومع ذلك غافلتهم وسرقت طبعة جيب لروايات شكسبير ! وإن كانت عندى مجموعة كاملة منها بشروحها وتفاسيرها ! »

وكان كما يقول كثير الغياب عن المدرسة ؛ « لأنى كنت أسهر إلى الصباح أقرأ وأحاول أن أفهم ، ثم أنام فأتخلف . فدعانى ناظر المدرسة ، المرحوم إسماعيل حسنين باشا — عليه ألف رحمة — وقال لى يابنى إنك « حمار » فى العلوم الرياضية ، وأنا أخشى عليك الرسوب ، ولا ألومك على التخلف مادام هذا عذرك ، فخذ إجازة خمسة عشر يوماً ، واقرأ ما شئت ، ثم واظب بعد ذلك على الحضور »

وظل هذا نهمه بالقراءة المتقصية العميقة وعكوفه على الكتب ومنها الجاف العويص مثل « أصل الأنواع » لدارون . ولم يصرفه تخرجه واشتغاله بالتدريس عما كان فيه

ويروى المازنى أنه اتفق يوماً أن كان فى مقهى فيما يعرف الآن بميدان الإسماعيلية ، « . . وكان معى كتاب الشاعر على مائدة الإفطار لوبندل هولمز ، وكنت أقرأ فيه . فمر أستاذى فى الأدب الإنجليزى ، فنهضت لتحيته ، فقال لى بعد كلام ، لقد أصبحت موظفاً وأكبر ظنى أنك انصرفت عن القراءة والاطلاع ، فأريته الكتاب فربت على كتفى وقال ، هذا ما أرجو ، أن تظل تقرأ وتقرأ ولا تشبع ، وأن تحرص دائماً على أن تضيف عقولا إلى عقلك »

ولعل الإنصاف يقتضينا أن نزيد هنا كلمة حق . فقبل أربعين سنة ، لم يكن يتيسر لطلاب الأدب فى مصر سبيل القراءة الأدبية كما تتيسر لطلاب اليوم . فقد كانت أمهات الكتب العربية — فى الأغلب — لا تزال مخطوطة فى دور الكتب العامة أو المكتبات الخاصة ، وكان ما طبع منها فى مصر أو الشام ، على ضآلته ، حافلا بالنقص والتشويه والتصحيف . وقد بلا المازنى معاناة هذه الكتب فى عهد الطلب ، وراض نفسه على الجد والتشدد ومصابرة الجهد فى سبيل الوصول إلى غايته وإشباع رغبته

ونسوق هنا قصته مع كتاب « الأغانى » وكان من أول ما اقتنى من الكتب ، وكانت نسخته التى وقعت له من طبعة ناقصة مشحونة بالخطأ والتصحيف فى كثير من مواضعها . فعمد إلى أجزائه ففكها « ملازم » وجعل يحملها معه ملزمة ملزمة إلى دار الكتب وراجع النصوص نصا نصا ، وبيتاً بيتاً ، ويدون التصحيح أو التكملات على ورق أبيض أعده لذلك ، وصار يلصق الورق المكتوب بين الصفحات المطبوعة ، وهكذا إلى آخر الكتاب بأجزائه التى تربو على العشرين

ومثل ذلك قصته مع ديوان « الشريف الرضى » — والشريف أول من اتجه إليهم المازنى وآثرهم بميله من شعراء العربية — فقد وقعت له نسخة من مطبوعة الهند ، ويقول المازنى إنه لم يسلم فيها بيت واحد من التحريف والتشويه حتى أعياه فهم الديوان وكاد اليأس أن يصرفه عنه . على أنه أقبل عليه يعالج تصحيحه ، وقضى فى ذلك قرابة عامين ، يوفق حيناً ويخفق أحيانا . حتى عثر فى النهاية على نسخة من طبعة بيروت — وهى أسلم وأصح فى مواضع — فاستراح إليها

أما قصته مع ديوان « ابن الرومى » فهى أعجب . ذلك أن الديوان بقى مخطوطا منسيا يكاد لا يذكره أحد ، حتى التفت إليه أساتذة المذهب الجديد . فشرع المازنى فى نقله عن إحدى نسختيه — وصادف أنها كانت أردأها خطا وأكثرها غموضا — ثم عكف عليه سنوات طويلات المدد ، يعالجه بالضبط والتصحيح

٧ - الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

الأزلام المدنية

لم يكن نظام الاستقسام بالأزلام نظاما موحدا يظله ظل الوثنية ، بل كان إلى جانب هذا النظام الديني نظام آخر مدني يلمحه الباحث من ثنايا أخبار العرب

١ — جاء في اللسان [١] تعليقا على قول سراقة : « فأخرجت الأزلام [٢] » ، قال : « وهي القداح التي كانت في الجاهلية ، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له فإذا أراد سفرا أو رواحا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما ، فإن خرج الأمر مضى لشأنه ، وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله »

٢ — وجاء فيه أيضا : « وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه ، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما »

٣ — وقال أبو حيان [٣] : « وأزلام العرب ثلاثة أنواع : أحدها الثلاثة التي يتخذها كل إنسان لنفسه ، في أحدها (افعل) وفي الآخر (لا تفعل) ، والثالث غفل ، فيجعلها في خريطة ، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده في الخريطة منسابة وائتمر بما خرج له من الآمر أو الناهي . وإن خرج الغفل أعاد الضرب

ثم ذكر النوع الثاني ، وهي القداح السبعة التي كانت عند « هبل » ، والنوع الثالث وهي قداح الميسر

علة تحريم الاستقسام بالأزلام

أما الاستقسام بها على الوجه الديني المتقدم فلم يختلف العلماء في تحريمه وأنه فسق ، لأنهم كانوا يلجأون إلى الأنصاب وبيوت الأصنام ، وكانوا يظنون أنها هي التي تخرج لهم في القدح ما يمتثلونه [٤]

قال الزمخشري [٥] : « فإن قلت : لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقا ؟ قلت : لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب ، وقال : لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، واعتقاد أن إليه طريقا إلى استنباطه . وقوله أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله ، وما يدريه أنه أمره أو نهاه . والكهنة والمنجمون بهذه المثابة . وإن كان أراد بالرب الصنم — فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم — فأمره ظاهر »

وأما الاستقسام بها على الوجه الآخر الذي لا تدخل فيه الأصنام ولا تستشار الكهان فأمر اختلف فيه العلماء كما اختلفوا في طلب معرفة الغيب بأي وسيلة من الوسائل [٦]

قال الآلوسي [٧] : « واستشكل تحريم ما ذكر بأنه من جملة

(١) لسان العرب مادة (زلم)
(٢) أنظر ما سبق في المقال الرابع (١٠١٢ ص ١٣٠٨ — ١٣٠٩)
(٣) في تفسيره (٣ : ٤٢٤)
(٤) الميسر والقداح ٤١
(٥) الكشاف (١ : ٢٤٤)
(٦) أنظر تفصيل ذلك في الفخر الرازي (٣ : ٣٥٧)
(٧) بلوغ الأرب (٣ : ١٦٨)

ورد الحرف والصحف وما أكثره . وأغرى بحفظه حتى كاد أن يأتي عليه

تلك كانت ، في حياة المازني ، بداية الشوط وفاتحة الكتاب . .

وهي بداية لم تكن تبعث كثيرا على الأمل أو تغري بالثقة والاطمئنان ، فقد كانت في جملتها تجربة قاسية من تلك التجارب التي تمتحن بها معادن الرجال ؛ اتسمت ، كما رأينا ، بالعسر والجهد والكفاح ، وزادها وطأة على وطأتها ما كان يحتدم بنفس المازني الشاب من إرادة الحياة وقوة الإحساس بها ، وما كان يرد عليها من عواطف ومشاعر لم تكن لتجد سبيلها إلى الاستعلان بله الانطلاق . ولقد كان صبر المازني على هذه التجربة القاسية وصموده لها إحدى عجائب بنيته المستدقة التي كانت تزيدها مشقة العمل وبهاظة العبء — في كافة مراحل العمر — فرط جلد ومصابرة واحتمال ... وكأنما كانت الآلام والأعباء نصيب المازني المقدور في الحياة ، وكأنما كان مهيأ لها بطبيعته وتكوينه منذ صباه

(يتبع) محمود محمد حمدان

التفاؤل ، وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفأل »

القرعة

بضم القاف ، واشتقاقها من القرع بمعنى الضرب . قال ابن فارس(٨) : « والإقراع والمقارعة هي المساهمة ، وسميت بذلك لأنها شيء كأنه يضرب »

والقرعة قديمة عند العرب ، ولها طرق شتى(٩) :

١ — فعن سعيد بن المسيب أنه كان يأخذ الخواتيم فيضعها في كمه ، فمن أخرج أولا فهو القارع

٢ — وقال أبو داود : قلت لأبي عبد الله(١٠) في القرعة : يكتبون رقاعا ؟ قال : إن شاءوا رقاعا ، وإن شاءوا خواتيمهم

٣ — وعن الأثرم(١١)، قلت لأبي عبدالله : كيف القرعة ؟ فقال : سعيد بن جبير يقول بالخواتيم أقرع بين اثنين في ثوب ، فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا . قال : ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع إلى رجل فيخرج منها واحدا . قلت لأبي عبد الله : فإن مالكا يقول : تكتب رقاعا وتجعل في طين . قال : وهذا أيضا . وقيل لأبي عبد الله : إن الناس يقولون : القرعة هكذا ، بضم الرجل أصابعه الثلاث ثم يفتحها . فأنكرها وقال : ليست هكذا .

٤ وجاء في صحيح البخاري (في حديث الإفك) ، عن عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه » . قالت عائشة : « فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت معه بعد أن أنزل الحجاب »

٣ — وعقد البخاري في صحيحه بابا سماه (باب الاستهام في الأذان) ، قال فيه : « ويذكر أن قوما اختلفوا في الأذان ، فأقرع بينهم سعد »

قال ابن حجر(١٢) : « قال الخطابي وغيره : قيل له الاستهام لأنهم كانوا يكتبون أسماءهم على سهام إذا اختلفوا في الشيء ، فمن خرج سهمه غلب »

وكان من خبر هذا الأذان الذي حدثت فيه القرعة ، ما رواه البيهقي(١٣) عن ابن شبرمة قال : « تشاجر الناس في الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد فأقرع بينهم » . وكان المسلمون في الصدر الأول يعدون الأذان أمرا خطيرا يسمون إليه ، ويحفظون في ذلك ما رواه أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم(١٤) : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا » ، والمراد بالنداء في هذا الحديث هو الأذان

وروى الطبري في تاريخه(١٥) حادث هذا الأذان رواية عن عبد الله بن شبرمة عن شقيق قال : « اقتحمنا القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتى الصلاة ، وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ، فخرج سهم رجل فأذن» . وسعد هذا هو سعد بن أبي وقاص

٤ — وقال ابن سيرين(١٦) حين بلغه أن عمر بن عبد العزيز أقرع بين الفطم(١٧) : « ما كنت أرى هذا إلا من الاستقسام بالأزلام »

فأنت ترى أن القرعة تمت بسبب إلى الاستقسام بالأزلام ، ولكنها لا تمت إليه بسبب الحرمة ، إلا أن يترتب عليها ضياع حق مشروع ، أو تطاول إلى معرفة الغيب وادعائه . أما إذا جعلت وسيلة لفض نزاع ، أو تخل عن مسئولية المحاباة والإيثار ، أو لاستعلان البراءة عن الميول الشخصية ، فلا ريب أنها في تلك الحال تكون أمرا مستحسنا

القرعة في الكتب الدينية القديمة

قد مر من طرق القرعة ما كان من أمر زكريا ، ويونس عليهما السلام ، وكان في الآيتين الكريمتين اللتين وردتا بشأنهما حجة من حجج الأئمة الأربعة في تجويز القرعة بناء على القاعدة التي

(٨) في مقاييس اللغة (٥ : ٧٢)
(٩) أنظر الطرق الحكمية لابن القيم ص ٣٦٥ وما بعدها
(١٠) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، روى عنه من أصحاب الحديث البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، تهذيب التهذيب
(١١) أبو بكر الأثرم البصري ، واسمه حكيم ، أحد تلامذ أحمد ترجم له في تهذيب التهذيب
(١٢) في فتح الباري (٢ : ٩٧)

(١٣) السنن الكبرى (١ : ٤٢٩)
(١٤) رواه البخاري في باب الأذان
(١٥) ليلة القادسية في حوادث سنة ١٤
(١٦) الميسر والقداح ٤٠ — ٤١
(١٧) جمع فطيم ، وهو من يفطم عن الرضاع

تقول : « شرع من قبلنا شرع لنا »

وكانت القرعة عند الإسرائيليين بمثابة استدعاء للأمر الإلهي في القضايا التي تعرض لهم . جاء في سفر الأمثال (١٦ : ٣٣) : « القرعة تلقى في الحضن ومن الرب حكمها » . وهذه الكلمة تسجل أيضا صورة من صور مزاولة القرعة التي تلقى بها القرعة في أحضان المتقارعين

فكان الإسرائيليون يلجأون إلى استفتاء القرعة في كثير من القضايا

١ — منها تبين المذنب والمخطئ إذا اختلفوا فيه : « فقال شاول : ألقوا بيني وبين يوناثان ابني . فأخذ يوناثان » . صموئيل الأول (١٤ : ٤٢)

٢ — وتقسيم البلاد المقدسة بين الأسباط : « إنما بالقرعة تقسم الأرض. حسب أسماء أسباط آبائهم . يملكون حسب القرعة . يقسم نصيبهم بين كثير وقليل » . العدد (٢٦ : ٥٥ ، ٥٦) . وانظر أيضا سفر يشوع الإصحاحات ١٣ — ١٨

٣ — وفي مزاولة الواجبات الدينية جاء في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا عن الكلام على زكريا : « فبينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر »

٤ — واختيار الحيوان للذبيحة المقدسة : « ويلقي هارون على التيسين قرعتين : قرعة للرب وقرعة لعزازيل . ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة » لاويين (١٦ : ٨ — ٩)

وقد استعملها أيضا (أعداء) الإسرائيليين ، جاء في سفر (أستير) أن هامان الوزير أراد أن يهلك اليهود ، فكان يصطنع القرعة لكي يعرف الوقت المناسب للفتك بهم في جميع أقطار الأرض : « في الشهر الأول أي شهر نيسان في السنة الثانية عشرة للملك أحشو يروش كانوا يلقون (فورا) أي قرعة أمام هامان من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر إلى الثاني عشر ، أي شهر أذار » وقد استمرت هذه القرعة سنة كاملة . ولكن هامان أخفق في سعيه لدى الملك ، وذلك بالجهود المضادة التي بذلها أستير ومردخاي اليهوديان ، اللذين تمكنا من إحفاظ الملك على وزيره حتى صلبه في اليوم الثالث عشر من شهر أذار ، فاتخذ اليهود يومي ١٤ ، ١٥ من هذا الشهر عيدا سموه « عيد الفوريم » جمع (فورا) وهي القرعة التي كان يصطنعها هامان لتعيين موعد الإبادة

واستعملها المسيحيون أيضا :

١ — فيها انتخب متياس : « ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس ، فحسب مع الأحد عشر رسولا » أعمال (١ : ٢٦)

٢ — واقتسمت ثياب المسيح عليه السلام « اقتسموا ثيابه مقترعين عليها » إنجيل متى (٢٧ : ٣٥) ومرقس (١٥ : ٢٤) ولوقا (٢٣ : ٣٤) والزامير (٢٢ : ١٨)

للبحث بقية عبد السلام محمد هارون

دموع البطل !

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« شاهدت صورة للرئيس اللواء محمد نجيب يبكى متأثراً حين جاءته أم تحمل طفلها الصغير فوق ذراعيها ومن حولها أبناؤها الثلاثة تشكو له ما تعانى من حزن ومايقاسى أطفالها من بؤس فأوحت إلى بهذا المقال »

لا تموت الدموع إلا فى عيون الجلادين القساة ، والظالمين العتاة الذين يرتكبون جرائمهم الكافرة من غير أن يخفق لهم قلب أو يثور وجدان ، أو يستيقظ ضمير ... فهم كالوحوش الضارية تعدو على الفريسة وتمزقها بأنيابها الحادة غير عابئة بالأنات والآهات ... وهكذا كان الطاغية وأعوانه من السفاحين والإقطاعيين يرون الشعب التعس يكدح فى سبيل اللقمة ، ثم لا ينال أدنى الغذاء ، ولا يظفر بأقل الكساء ، ولا يجد ثمن الدواء ؛ وهم فى لهوهم ومجونهم غارقون ، وفى أودية اللذة والضلال هائمون، يرون بأعينهم الأطفال الذين شردهم بغيهم ، والصغار الذين يتمهم ظلمهم ، والنساء اللواتى ترملن على أيديهم . يرون كل هذا فلا ينبض فيهم عرق بحنان ، ولا تجود لهم كف بإحسان ، ولا تبض عيونهم الجاحدة المتكبرة بقطرة من دمع ، وما يرونه من مشاهد البؤس فى الكبار والصغار والشيوخ والنساء يبكى الصخر الأصم ... ولكنها القلوب التى تتضاءل أمامها الأحجار ، ويتعلم الصخر منها دروس القسوة والجمود ، (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ...)

هذه صورة الأمس المظلم المقيت ، الذى ذهب بخزى الطغاة وعارهم ، أما اليوم فقد أذن الله الرحمن الرحيم لهذا الشعب الصابر أن يقطف ثمرة الصبر التى أينعت ، وأن يستظل بفىء الحرية التى بسقت وأزهرت ، والتى رواها بدمه ، وغذاها بتعبه ، وصانها بروحه ، فخرج من صفوف الشعب القائد النجيب ؛ فكان لمصر المنقذ المخلص ، والحاكم العادل ، والحارس الأمين ، والبطل الحبيب ، فالتف حوله الشعب المظلوم يشكو إليه مالقى من عنت وأذى ، كما يجتمع الأبناء حول أبيهم يبثونه ما بنفوسهم من جراح وآلام ... فلم يترفع الرئيس عنهم ، ولم يشمخ بأنفه كبراً عليهم ، ولم يعتصم بحصن أو يتوارى فى قصر ، بل مشى بينهم فرحاً بهم وفرحين به ، يسمع إلى مايقولون ، ويحقق مايأملون ، ويلبى مايطلبون ، باسم الثغر ، ثابت العزم، راسخ المبدأ ... يأتيه المظلوم الصادق فيرفع عنه ظلامته ، ويلوذ به الشيخ العاجز فيخفف من مصابه ... وتجيئه هذه الأم المحزونة ومن حولها أبناؤها ، وعلى وجوههم علائم البؤس ، وفى صدورهم لذعة اليتيم ، لأن من كان يطعمهم من جوع ، ويكسوهم من عرى قدمات ... وتركهم صغاراً حيارى يعانون قسوة الأيام ، ولوعة الحرمان ... فيذكر الرئيس البطل أن السماء قد أعدته ليكون أباً لهؤلاء اليتامى ولكل يتيم فى مصر فقير ... فلا يملك قلبه من البكاء ، ولا يقوى على حبس الدموع فى عينيه !

وكيف لا يبكى ؟ وهو الأب الرحيم لهذا الشعب الذى أجاعه ظالموه وأذله حاكموه ، وسرقه حراسه الأشداء ، وروعه طغاته الأقوياء ... بل إنه ليبكى ويسكب الدموع ... دموع الحزن العميق والفرح الغامر ... لأن الله قد اختاره ليمسح مابالقلوب من أحزان ، ويطهر ما بالنفوس من أدران ، ويداوى ما تركه الماضى من علل وأسقام ... وقد أعانه الله لحطم (هبل) البغى والضلال ، وسحق أعوانه وعابديه ، فهو يذرف دموع الفرح لما حقق لأمته وبلاده من حياة حرة كريمة ... فإذا رجع من المعركة الظافرة إلى الشعب رأى ماخلفه فيه المقهورون من مآثم ، وما تركوه من مظالم ، وشاهد فصولاً من البؤس حية لايقوى على خلقها الخيال ... فتثور فيه العاطفة الصادقة ، ويشيع فى أوصاله التأثر العميق ، ويخفق قلبه الكبير بالعطف والحنان ... فيبكى ويذرف الدمع السخين !

رعاك الله أيها البطل

إن هذه الدموع التى تنبع من قلبك الطاهر ، وثيقة الرحمة والإخلاص ، وبرهان البطولة والإيمان ، وهى — لعمرى — قصيدة لا يحسنها إلا من وهبه الله قلب ملاك وروح شاعر ، ولها فى القلوب فعل السحر ... ويدرك معناها من خبر هذا الضرب من الشعر !

عمر عودة الخطيب

الكتاب ولوازمهم

للأستاذ محمد فرحات عمر

دعاني إلى كتابة هذا المقال أمران طالما أثارا من دهشتي وعجبي :

أولهما ما راعني من التزام أكثر كتابنا بعض عبارات لا يبغون عنها حولا ، ولا يريدون بها بديلا

وثانيهما مدى دلالة هذه اللوازم على شخصيات ملتزميها ، بحيث يمكن أن تكون عنوانا لها ومرشدا عليها ، ونبراسا مضيئا يكشف لنا عن أغوارها ، وعما يختلج في لواعجها من مشاعر وميول

وأول مايصادفنا من هؤلاء الكتاب هو الدكتور طه حسين ؛ فمن لوازمه قوله دائما « مهما يكن من شيء » و« ما استطعت إلى ذلك سبيلا » ، هذا إلى جانب استعماله للمفعول المطلق استعمالا ظاهرا يثير الانتباه ويدعو إلى الالتفات ! وهذه اللوازم إن كانت جديرة بالاهتمام فهي من حيث أنها عنوان أمين لكيانه النفسي ومسبار صادق لسبر أغوار هذه الميول وتعقب أسباب هذه الأهواء التي ضربت بجذورها في أعماق هذه النفس الكبيرة . فبديا نعلم أن الدكتور طه قد فقد بصره إبان طفولته ، فلا غرو أن تولد عن هذا فيما أسماه آدلر Addler بمركب النقص الذي كان حافزا له على اصطناع أساوب تعويض من شأنه أن يحقق تكامله الشخصي كفرد سوى

ويجمل بنا كي ينجلي الأمر أمام القارئ أن نأخذ في بسط معنى « المركب » وفي التعريف بمعنى « النقص » بغاية الإيجاز ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . أما المركب فنعنى به مجموعة العواطف التي تندس في العقل الكامن فتوحي إلينا باتجاهات خاصة وتملي علينا سلوكا معينا قد يستعصي علينا تعليله ونحار في فهم أسبابه فقال فرويد Freud بمركب أوديب وقال آدلر addler بمركب النقص معتمدا في هذا على نظريته النائية في حب السيطرة . . والذي يعنينا هو مركب النقص الذي يتولد عادة في أيام الطفولة حين يشعر الطفل بضعفه إزاء المحيط الخارجي ، وقد يطول به الأمد إلى أيام الشباب ولكنه لا يجنح إلى الظهور ولا يحمى وطيسه عند الفرد إلا في حالة نقص طبيعي ظاهر والمصاب به يشعر بقصوره ، ومن ثم يدأب على أن يخلق من نقصه كمالا وذلك في نطاق الظروف المواتية والأحوال الموائمة وعلى قدر الذكاء الموروث . وهذا السلوك التعويضي قد تترتب عليه نتائج بعيدة المدى تدعونا إلى العجب والإعجاب معا . ومن سمات المصاب به أن يكون كثير التهكم على الناس ، عابثا بهم ، ساخرا منهم . ومن شواهدي على ذلك ما نراه من برنارد شو وأبي العلاء مثلا . على أن المصاب به قد لا يجحد العبقرية كائنة ما كانت في أي شخص ، ولا يفكر بالعظمة حتى يخر لها ساجدا ، وكأنه حين يصل القمة في إيمانه بالغير يكون قد وصل الذروة في إيمانه بنفسه . فلقد كان شو على تهكمه اللاذع بالناس ، وسخريته القذعة منهم ، شديد الاحترام للنبوغ ، فلقد أبدى تواضعا غير معهود فيه حين قابل غاندي وقال له أقدم لك نفسي أنا المهاتما الصغير . كذلك أبدى احتراما فائقا حين جمعته الظروف بأينشتين . وعلى هذا الحال كان أبو العلاء المرى على عبثه بالناس معجبا بالمتنبي إلى حد التقديس !

ومن الأمارات التي تهدينا أيضا إلى التعرف على شخصية الرجل الذي تنطوي نفسه على هذا المركب تكلفه السلوك وتصنعه له تصنعا ظاهرا يدعو إلى العطف والإشفاق

والمحلل لشخصية عميد أدبنا العربي يعرف عن كثب مقدار تغلغل هذا المركب في نفسيته ، وإلى أي حد كان حافزا له على المثابرة والكفاح حتى تألق نجمه وأصبحت له هذه المكانة المرموقة . فالسخرية من الغير هي مسلاته . . . وعبادة العبقرية أو على الأصح عبادة نفسه بطريق غير مباشر ، أطيب الأمور إلى نفسه ، فما أظن إعجابه بأبي العلاء وإشادته بذكره وتعصبه له ، إلا إعجابا بنفسه وإشادة بذكره . وأنا أذكر على سبيل المثال هذه المناقشة التي قامت بينه وبين أحد نواب الوفد في قاعة البرلمان والتي ختمها الدكتور طه بقوله « إن طه حسين

هو اللغة العربية »

ومن ثم فلا غرو أن كان لسان حاله يردد « مهما يكن من شيء » و « ما استطعت إلى ذلك سبيلا » ثم لا يلبث بعد ذلك إلا ريثما يستعمل المفعول المطلق استعمالا ظاهرا كأنه يرمي إلى توكيد ما ردده من قبل . فكل هذه اللوازم تدل على أنه قد طرح عن نفسه كل يأس ، وخلع عليها كل فضل فوطدها على العمل وعقد عزمه على الشد من أزرها مهما كانت الظروف والملابسات

والآن ننتقل إلى كاتب آخر هو الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.. ولكاتبنا لوازم عديدة يعنينا منها هنا كلمة لا مراء وكلمة «مليحة» يعني أن فلانة جميلة! فهاتين اللازمتين يمكننا أن نهتدي إلى «مفتاح» شخصية الكاتب الكبير فيبدو الأستاذ العقاد رجل عاطفي إلى أبعد ما يتصور المرء ، فإذا صادق تحمس في صداقته إلى حد أن يرفع صديقه إلى مصاف العظماء ، وإذا سخط على أحد أو غضب منه أنزله أحط مرتبة وأسفل درك . فكلنا يذكر أيام خروجه على الوفد وأي حملة حملها عليه وأي تجريح وتقريع صبها على رأس الوفد ورئيسه . هذا مثل حي من عداوته ، أما صداقته فأنا أذكر على سبيل المثال رواية طريفة : كنت يوما بمجلسه وتجاذبنا أطراف الحديث في السياسة حتى انتهى بنا المطاف إلى الكلام عن شخصية المرحوم محمود فهمي النقراشي فما كان من الأستاذ إلا أن بادرنا بقوله « إن النقراشي في رأيي لا يقل إطلاقا عن المهاتما غاندي إن لم يزد » لقد قال الأستاذ قولا عظيما لا أظن أحدا يوافقه عليه ؛ ولكن هذا هو إذا صادق فطوبى لصديقه ، كما أنه لو عادى فويل لعدوه . ومن كانت هذه حاله فهو إنما ينظر إلى قيم الأشياء بوجهة نظر ذاتية subjective لا بوجهة نظر موضوعية objective فهو يقومها بمقتضى هواه ويحسب ما يشتهي . ومن كان دأبه هذه النظرة فهو رجل شديد الإيمان بنفسه عظيم الاعتداد بشخصه ! وعلى ذلك فلا عجب أن لازمت الأستاذ العقاد كلمة مثل « لامراء » سداها الحسم ولحمتها القطع! بل العجب كل العجب ألا تلازمه مثل هذه « اللازمة »

وليس مما يشين الرجل أو يقلل من قدره أن يقال عنه إنه معتد بنفسه ، فإن هذا لعمري شيمة كل رجل عظيم لم يعرف قدره ولم يلق تكريما من أهل عصره ، بل على العكس قد يلقى حسدا وجحودا وبهتانا عظيما . فالأستاذ العقاد على الرغم من أنه أكثر كتابنا ثقافة وأوسعهم اطلاعا وأقواهم حجة وأرصنهم عقلا وأنظمهم فكرا ما زال أنصاره قلة وأعداؤه كثرة دون ما سبب سوى الهوى المغرض المستبد بنفوس الكثيرين من الناس

ثانيا : يبدو الأستاذ العقاد في كثير من الأحايين متمسكا بالتقاليد الموروثة متعصبا لها ، أو بالأحرى فيه حنين دائم إلى الماضي، فما زالت بعض تعاليم التربية التي تلقاها في فجر حياته تتحكم في كثير من تصرفاته وفي تحديد طرائق تفكيره ، فهو مثلا لا يوافق على مساواة المرأة بالرجل على النحو الذي ينادي به كثير من أنصارها الآن، وله أدلة على ماذهب إليه عديدة، بعضها فسيولوجي وبعضها سيكولوجي وبعضها الآخر سوسيولوجي.. وسواء قويت هذه الأدلة أم وهنت ، فإن هذا لا يعنينا في شيء ؛ إنما الذي يعنينا هو اتجاه الرأي في ذاته . وزد على هذا أن للأستاذ زيا تقليديا خاصا لا يكاد يتأثر بموجات «الموضة» وتياراتها فهو لا يبغي عنه حولا ولا يريد به بديلا . ثم فضلا عن هذا كله فإن ما نراه من تغلغل العاطفة الدينية في شخصه تغلغلا لم تزلزله كثرة قراءاته لأفكار الغربيين والتي لولاها لما أخرج لنا كتابه عن الفلسفة القرآنية وسلسلة العبقريات والديمقراطيات في الإسلام ... أقول إن ما نراه من تغلغل العاطفة الدينية فيه إلى هذا الحد لينهض دليلا كافيا على أنه ما زال متأثرا بملابسات بيئته الأولى . وإذا كان ذلك كذلك وكان الأستاذ العقاد ما زال متأثرا بملابسات بيئته الأولى ، فلا عجب أن تظل على لسانه بعض الكلمات التي تتميز بها اللهجة الصعيدية ، ولا غرو أن يمتد هذا إلى لغة الكتابة . ومن ثم فإن كلمة فلانة « مليحة » التي رددها مرارا على الأخص في قصة سارة هي لازمة لها منزاها ، ولا يمكن أن تمر على القارئ دون أن تثير انتباهه وتدعوه إلى الالتفات

بعد هذا يصادفنا المرحوم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فلقد كانت له — رحمه الله — لازمة هى أصدق ما تكون وصفا له ولفلسفته ، ألا وهى كلمة بسيط ومشتقاتها ، فيقول « هذا أمر بسيط » و « أمور بسيطة » « والرد عليه غاية فى البساطة » وعلى الرغم من أن هذه الكلمة لا تؤدى المعنى المراد لغويا وإنما هى ترجمة غير دقيقة لكلمة simple فقد لاقت هوى فى نفس كاتبنا، وربما كان هذا لأن الأستاذ المازنى كان رجلا بسيطا فى نفسه بعيدا عن التعقيد الذى انطوت عليه نفوس أهل زماننا ، وربما كان هذا أيضا لأن الأستاذ المازنى كان ينظر إلى الحياة ببساطة منقطعة النظير . أذكر له مقالا كتبه فى أخبار اليوم جاء فيه ما معناه : إن الصحافة ليست هى باب رزقه الوحيد فإنه فى مقدوره أن ينقطع عنها غير نادم ويعتزلها غير آسف فإنه يملك سيارة يستطيع فى يوم وليلة أن تصير « تكسى » كما أنه يستطيع أن يفتتح حانوتا للمرطبات وهو ضمين بأنه سيكسب من الكوكاكولا وحدها قدر ما يقتضيه من صاحبة الجلالة الصحافة . إن فكرة هذا المقال تدلنا على أنه كان ينظر إلى الدنيا على أنها يسر فى أحرج مواقفها ، وأشد أزماتها . وكذلك كان رحمه الله بسيطا فى حياته الفكرية ، فأبغض شئ عنده هو قراءة الفلسفة كما صرح بهذا فى كتابه قبض الريح ، وقال ما معناه إنه لا يفهمها ولا يهضمها ولا يرى طائلا ما تحتها . ثم لقد كان أسلوبه نموذجا للسهل الممتنع ، كنت أقرأ له فيهيأ لى لأول وهلة أنى بصدد كلام دارج ، ولكنى لا ألبث إلا أن أرجع عن ظنى وأقول فى نفسى ويحك يا فلان لقد ظلمت الرجل . . . والواقع ما ظلمت إلا نفسى ...

إن المازنى كان بسيطا ، فى جميع وجوه حياته ، ولقد كانت هذه اللازمة هى أصدق ما تكون وصفا له ولفلسفته ، رحمه الله لقد كان عظيما فى بساطته

يقابلنا بعد هذا كاتب له طابعه الفكرى الخاص هو الأستاذ سلامة موسى وثقافة كاتبنا تكاد تكون غربية بحتة، وهو يرى أن مهمته الكتابية تنصب على صبغ الفكر الشرقى بالروح الغربية ، وهو كثير التنبيه إلى هذا ! ولذا كانت عبارته المأثورة التى يلتزمها وهى « مما هو ذو مغزى » خير ما تعبر عن التنبيه إلى نياته وما استقرت عليه أفكاره . إن الأستاذ صاحب رسالة يرنو إلى تحقيقها ، إنه يرى وجوب هجر التراث العربى والأخذ بتلابيب الثقافة الأوربية وحدها . هذا هو مغزى كل كتاباته على اختلافها ؛ وهو يريد من القراء الالتفات إلى هذا المغزى.. فلا مناص إذن من التنبيه بعبارته التقليدية كلما اقتضت الحاجة ذلك

هذه لوازم بعض كتابنا الكبار ، ولقد شاهدنا مما سبق كيف أن هذه اللوازم لم يكن وجودها اتفاقا وصدفة ، بل هى ترجع إلى أساس مكين فى نفوس أصحابها ... حقا إن الأسلوب هو الشخصية ... أو قل إن اللوازم من الشخصية

محمد فرحات عمر

من الشعراء والأدباء الشباب في العراق

كاظم جـــواد

للأستاذ خالص عزمي

في مطلع عام ١٩٢٨ ولد شاعرنا من أب عربي ينحـدر من قبيلة عربية تسمى « آل عارض » تقطن المنطقة الجنوبية من العراق في أطراف مدينة السماوة، وقد أبلت البلاء الحسن في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ : ولد شاعرنا في تلك المنطقة التي تكثر فيها المياه وتحيط بها المزروعات من كل مكان ، وجعلت فيها قدرة الله ألوانا من السحر البديع والجمال الأخاذ . فشب وهو يحب الجمال وترعرع وهو ينظر إلى الطبيعة الفاتنة نظرة البشر والبهجة فانطبقت هذه الصورة في مخيلته حتى تأثر بها كل التأثر في قصائده ومقتطفاته

وفي جو تسوده التقاليد القبلية والعادات العربية العريقة نما ونما معه العزة ، والكرامة والصراحة ، وطيبة القلب ، والخلق القويم ، لم يعرف المداجاة ، ولم يمارس النفـاق ، فشب وهو كامل الرجولة يتمتع بالمزايا النادرة التي يجب أن يتمتع بها كل رجل

وفي نفس ذلك الجنوب الهادئ الوديع ، القوي الجبـار راح شاعرنا يتلقى علومه الأولية فدخل المدارس الابتدائية ثم المتوسطة والثانوية ، ثم نزح بعدها إلى مدينة العلم والمعرفة « بغداد » حيث راح يكمل دراسته العالية ، فدخل كلية الحقوق العراقية وفي خلال أوقات فراغه كان يقبل على مختلف العلوم والفنون ينهل منها ماشاء الله له أن ينهل ، ولم يكتف بكل ما قرأ ودرس وتعلم ، بل دخل مدرسة دينية مسائية الدروس قرأ فيها أصول الفقه وفلسفة الدين وألفية « ابن مالك » و « البديع » و « البيان » و « أصول النحو » و « العروض » ... الخ من الكتب الدقيقة . وبقى على حاله تلك حتى تخرج في كلية الحقوق هـذا العـام وحصل على « الليسانس »

وكان خلال فترة دراسته يتابع نشر قصائده في مختلف الصحف العراقية والعربية وكانت مجلة « الثقافة » الغراء الميـدان الواسع لشاعرية كاظم، فقد نشر فيها أغلب قصائده وأروع مقتطفاته التي كتبت له مجد الشباب الواعي

كنت أجلس إليه ذات مرة وهو شـارد الفكر فوجدت الفرصة سانحة لكي أوجه له بعض الأسئلة التي كنت أود معرفتها منه فقلت : — ماهي أول قصيدة لكم . قال : (لقاء) . قلت ألا تود أن تسمعني منها شيئا : فأنشد يقول وأنا أسجل بعض أبياتها

أطلت كوكبـا وضاء يسمو فوق آفاق
دنت كالعابد الهيمان من محراب أشواق
أطلت بسمة سكرى على مرآة إطراق
كئيب ظامئ للحب تذكو نار أعماق
منى نفسي ، سجين الأمس هل حطمت أطواق
بلاماض ، أريد العمر يحلو بعد إخفاق
جبـاتي بعدما نثرت رياح الغدر أوراق
ربيع سال من عينيك واستلقى بأحداقي

***

وقفت أمامها خجلا وطرفي حائر شحب
وأنفـاسي مولولة على شفتي تصطخب
فؤادي كاد من لهف إلى أحضانها يثب
جريحا والهوى جرح بعيد الغور منشعب
سفحت الآه فانتفضت تسائل هل لها سبب
أخاف ، أخاف من أمل إذا مابحت يحتجب .

قلت عمن تأثرت من الشعراء : قال تأثرت كثيرا (بالمتنبي) من الشعراء الاقـدمين و (بأبي ريشة) من الشعراء المحدثين . قلت ومن الأدباء . قال (بأبي حيان التوحيدي) من القـدامى ، وبجبران . وطه حسين . والزيات . ونعيمة . وزكي نجيب محمود . من المحدثين

قلت : هـل لك ديوان مطبوع . قال إلى الآن لم أطبعه وإن كان قد جهز للطبع حاليا وأسميته « من أغاني الحرية » .وهومجموع القصائد والمقتطفات الشعرية التي قلتها في مناسبات كثيرة وأغلبها منشور في الصحف العربية . وتلك القصائد تدور في موضوعين : منها في الجمال والوجـدان والحب . ومنها في القوميـة العربيـة والوطنيات ، وقد تأثرت جـدا بالحركة المصرية الأخيرة فقدمت

للعالم العربي تسع قصائد في وصف شعوري نحو إخواننا المصريين وهم يكافحون كفاح الأبطال لنيل الحرية وإليك بعض ماقلت في قصيدتي « إعزفي يارباح »

مات ضوء النهار واحلولك الأفق الدمى بحشرجات ذكاء
شرق الليل بالجراح وغصت ربوات « للقنال » بالشهداء
ومجاري الدماء أذكى محانيها عناق الأشلاء للأشلاء
فإذا (النيل) والضحايا حواليه صلاة مسحورة الأصداء

إلى أن يقول :

إعزفي يارباح ماأحقر العمر إذا آل غمغمات رثاء
إعزفي فالظلام ولى ولكن أين فجر البطولة السمحاء
أين قيثارة الحياة يموج الوعى فيها مزمجر الأصداء
أين من ومأة الصباح أراجيز كفاح صخابة الأجواء
فوراء الدجى ، وإن زحف الفجر بقايا غمامة دكناء
هالها ، هالها ، شموخ أمانينا على كل ذروة شماء
فعدت بنيها الأثيم فيامصر اخرسيها (بوحدة وجلاء)

وإليك في قصيدتي (المصري الجديد) :

طلعت على دجى الطاغي صبوحا   يبارك فجرك الوطن الجريحا
دعاك لمجده فنهضت تسعلو   كفرخ النسر محتقر السفوحا
وفي شفتيك تصطخب الأغاني   يحن إلى الكفاح هوى جموحا
نداء ماوعاه النيل حتى   كساه الوج من لهب مسوحا

إلى أن يقول :

إذا (السودان) كان لمصر روحا   فقد كانت له مذ كان روحا

قرأت ما أنشدني « الجواد » مرة وأخرى ثم قرأت ماسجل في ديوانه في باب الوطنيات فوجدتني أمام شاعر يتدفق وطنية تهزه الأعمال الخوالد في ميدان الكفاح فينشد وينشد حتى يكل منه النفس ، هذا الشاعر الشاب سبق عصره كثيرا ، فقدم للعالم العربي قصائد في الوطنية والوجدان مالم يقدمه شاعر في هذه الأيام ! لنقرأ للقارئ الكريم هذا المقطع الرائع من ملحمته الكبرى التي تقع في ألف بيت من الشعر وهو يصف فيها مصرع البطل العربي الشهيد « عبد القادر الحسيني » في معركة القسطل في الحرب الفلسطينية الأخيرة إذ يقول منها في وصف سقوط (الحسيني) مضرجا بدمائه على الرمال الدكناء ، فيمثله أروع تمثيل ويقدم للقارئ بذلك صورة مجلوة المعاني زاخرة بالعواطف تدل على تمكن الشاعر من دقة التعبير ، قال في المقطع الرابع :

من ترى ذلك الطلل ؟ أفجر ، أم شهاب على أديم صاح
يتملى الأجيال ملحمة حمراء كالنور في الضحى ... الوضاح
حملته عرائس الوحي للنجم شهيدا على أعف جناح
بعده ، بعده ، ترنحت الأرض وضجت حناجر ، في الساح
تزفر الرعد فالجوانب أصداء تخطت ... على أنين الجراح
كوثوب الأمواج ، والبحر داو صفعت جبهة الخطوب الطلاح
تنحر البغي فالرنين المدمى . كالأعاصير هائج في النواحي
ياشهيداً على الرمال تسجى ... أدمعت بعده جفون الكفاح
ياشهيداً كأنه الشفق المخضوب ينساب في أصيل الجراح
ياشهيداً نأى وخلف للثوار جرحا في مأتم الأرواح
مأتم الذكريات والفارس الملم في السوح كالضياء الصراح
كانفلاق الشروق . كاللهب الثائر . كالجمر . كالدم النضاح
صبغ الأفق بالسناء ، وبالوهج ودمى هياكل الأشباح
فإذا الليل في جوانبه السود عروس توج كالصباح
تنثر الضوء يابسا فمليا ... جمدت دمعة العلى المستباح

هذا هو المقطع الرائع من القصيدة الدامية التي خرجت من القلب وكتبها العقل وسجلتها للخلود العاطفة ، ثم هذا مقطع من تلك القصيدة التي أحدثت ضجة كبرى في ميدان الأدب العراقي عندما نشرها الأستاذ (كاظم) في جريدة اليقظة البغدادية وقد عدها بعضهم بأنها الوسام الخالد الذي علقه الشاعر على صور البطل (الحسيني)

في هذه القصيدة بالذات لمس (القارئ الكريم) انبثاقات روحية علوية وانطلاقات شعورية وصوراً رفيعة النفس عميقة الفكرة صورت في روح متألمة حزينة

ثم هنا نقدم للشاعر صورة أخرى هزت عاطفته حيناً كثيراً فجعلت منه شاعر الحب والجمال — كما يسمونه في بغداد — نقدم هذه الصورة وهي ملونة بلون الإحساس الرهيف والإخلاص العميق . هذه الصورة هي بعض الأبيات في قصيدته العاطفية ندرجها للقارئ : —

عبرت على دربي خطاها   وتناولت قلبي يداها

في الليل في بيداء وهي   في صحارى العمر تاها
في هوة اليأس البهيم   وعى من الدنيا أذاها
طلعت فشب به الشباب   وأج في دمه لظاها
عزراء سلت من مآقي النور   فائتلقت مناها
يكسو محياها العفاف   أشعة ورؤى وجاها
وكنجمة الليل الوليد   هفا على أفقي ضياها
منحته كالطفل اليتيم   حنانها وحبته فاها
قد أرضعته هوى الحياة   فراح لايهوى سواها
ياطالما أهوى تلاوين   البكور شذى سناها
وروى إلى الأطيار   أغنية مجنحة لناها
وأذاب في الأوتار   أحلام العرائس في صباها
هو بسمة الحب البرئ   يضئ في شفتي رؤاها
حتى إذا بالأمس أجنحة   الهوى بلغت ذراها
رزئته بالذهب الحقير   وماله إلا جواها
فهوى على السفح الجديب   منى تضرجها دماها
فكأنه لم يعلك الدنيا   إذا وهبت رضاها
واضيعة الأمل الشرود   إذا رنا فسفحت آها
خفتت شموع الذكريات   وجف في عيني ضحاها

***

ستظل ترقبني مع الناي المكسر مقلتاها
وهناك في وادي الدموع   لعل آلامي تراها
هيهات لن أنسى هواها   السمح لن أنسى هواها

والقصيدة طويلة النفس فيها من التعابير الوجدانية أسماها ، فيها من العاطفة الزاخرة بالإخلاص والحب والتفاني أروعها .

والأستاذ الجواد : بعد كل هذا : فنان يلمس الحياة بما ألهمه الله القدر من فكر ثاقب وعقلية طموحة عالة ، تدفع صاحبها إلى أرفع مكانة

ولعل الكثيرين من الشعراء يعرفون أن (الجواد) شاب خلق من نفسه إنساناً يعرف معاني الحياة ، ويقيس الناس بمقاييس العقل الواعي ، ولعلهم يعرفون في شاعرنا أنه قومي من الطراز الأول يتفانى في سبيل عروبته إلى أقصى مدى وهذا ماجعله محبوباً من جماعته محترماً منهم يقدرونه كل التقدير

وأخيراً نود أن نقدم (للقارئ) بعض نماذج من شعره الوجداني ، والوطني ، والإخواني الذي امتاز كثيراً :

من ملحمة العربي التائه وتقع في ألف بيت من الشعر : —

حشرجات الكئيب .. يا آهة الفن ، ويا حسرة شجت بدمائه
رب جرح تناهشته كروب   تنقذ الشعب قطرة من دمائه
أيها الشاعر اللهيف إلى النور بزوغاً ، فالصبح من سجرائه
شعبك الأخرس الشقي ذليل   سادر في ضلاله وعمائه
كافر يلعن الحياة ويبقى   مستكيناً لذله واصطلائه
عابس يحصد السنين شقاء   ويعاري الأساة عن أدوائه
يتمشى الفناء في جسمه الناحل ، والموت صار من أسمائه
بانشيداً في حومة المجد يرقى   مشمخراً على ذرى عليائه
بانشيداً بدونه شرف الشعب   مهان يذوق سم شقائه
بانشيداً كأنه نغم الخلد   تهاوى إلى رؤى عذرائه
فكرة أنت كالطلاسم ظلت   فهي سر الإله في أنبيائه

وفي قصيدة له عنوانها «الهارب» نقدم هذه الأبيات التي فيها انطلاقات روحية فلسفية تدل على الفترة التي انغمر فيها شاعرنا في كتب الدين والفلسفة ينهل منها كثيراً يقول في تلك القصيدة :

عذراء ، إني ذاهب فاهدني   هل نحن إلا من صدى حكمته
الله لا أنت ، ولا من عتا   ولا أنا ننال من قدرته
كل على الأرض إلى غاية   ونتهي ، نسمو على خلقته
الليل لن يفتح أبوابه   لو لم يطل الفجر من كوته
سبحانه ، سبحان ذاك الذي   فجر نبع الحب من جنته
نشرب منه الأمل المشتهى   ونأكل الزقوم من سدرته
لا كان عهد الحب إن لم تكن   عين النوى ترعاك في غيبته

هذا هو «كاظم جواد» شاعر الحب والجمال ، الشاب الذي أحرق من أعصابه بخوراً في سبيل عقيدته وأهدافه في الحياة .

بغداد : الأعظمية   **خالص عزمي**

في موكب النهضة

كتابان

للأستاذ علي العماري

يخطئ الذين يظنون أن الحياة المصرية تحتاج إلى التجديد من ناحيتيها السياسية والاجتماعية فحسب ، ويرون أن الجمود والتأخر والبطء كانت تلازم هاتين الناحيتين ، ولا غير ؛ فالحق الذى لا سبيل إلى المراء فيه أن الحياة المصرية أصابها الركود والجمود فى كل نواحيها ، وإن كانت نسبة هذا الجمود وهذا الركود فى ناحية أقوى وأظهر منها فى أخرى ، ولذلك فإن النهضة والبعث والتجديد يجب أن تمس كل نواحي الحياة مسا رفيقا أو عنيفا على حسب ما تحتمله طاقة الأمة

وإلا فهل فى مصر وفى العالم العربى من الفاقهين المخلصين لدينهم ولغتهم من يجهل مدى الجمود الذى يسيطر على الدراسات العربية والشرعية ؟

فكما أننا كنا فى حاجة ماسة إلى من يجدد لنا حياتنا السياسية ، وحياتنا الاجتماعية ، كذلك نحن فى أمس الحاجة إلى من يجدد لنا حياتنا العلمية ، وبخاصة فى الناحيتين اللغوية والشرعية

والذين لا يتعبدون بدراسة الكتب القديمة ، ولا يعتقدون أن الله جعل علم اللغة وعلم الشريعة وقفا على الأقدمين ، ويؤمنون أشد الإيمان بأن أتفه كلمة فى العربية هذه التى يتناقلها الخلف عن السلف : « ما ترك الأول للآخر شيئا » هؤلاء يعتقدون أن حاجتنا إلى تجديد هذه الدراسات ، وصوغها صياغة جديدة لا تقل — فى ميزان النهضة — عن حاجتنا إلى تجديد سياسة الأمة وحالتها الاجتماعية

وقد يطول الحديث ويتشعب لو أخذت أبين ما فى هذه الدراسات من جمود ، ولو بالإشارة العابرة ، فلذلك سأقصر حديثى عن الدراسات العربية ، بل عن كتابين اثنين من هذه الكتب العربية التى نتعبد بدراستها فى مصر وفى غير مصر من الأقطار العربية . وكم كنت أود أن لم ييسر الله لصاحبي هذين الكتابين فى تأليفهما ، فإن الخطر الذى دخل على العربية منهما لا يقل عن الخطر الذى أصاب الحياة المصرية من تحكم رجال الأقطاع والطبقة الحاكمة

أما أول هذين الكتابين فألفية ابن مالك . أقول هذا وأنا على يقين من أن آلافا من الناس سيفتحون أفواههم ، وستجحظ عيونهم تعجبا ، ودهشة ، ولكن الذى يؤثر الحق لا يبالى

وضع ابن مالك ألفيته فى النحو فى القرن السابع الهجرى ، ومنذ ذلك التاريخ وعلماء النحو يتخذون هذه الألفية كعبة يطوفون حولها ، يضعون لها الشروح ، ويضعون على الشروح الحواشى ، ثم يتفضلون بالتقارير يستدركون بها على ما فى هذه الحواشى ، وبعضهم يؤلف فى إعراب الألفية ، وأكثر هذه الكتب وضع فى عصر الضعف الأدبى ، ففيها ماشئت من تعقيد والتواء ، ومن تعليلات تافهة لا تستند إلى منطق معقول . وقد أضر عكوف العلماء بهذه الصورة على هذا الكتاب ، فوقف الاجتهاد فى النحو ، وأصبحت غاية المتعلمين أن يفهموا تلك العبارات الملتوية ، وأن يحسنوا الجدل فى تخريجها وتصحيحها . وربما كان هذا معقولا ومقبولا فى تلك العصور التى ركدت فيها ريح العلم ، وعمها الانحطاط فى كل نواحيها ، ولكنه غير معقول ولا مقبول فى هذا العصر الذى يمتاز بالسرعة ، ويتطلب المحافظة على الوقت ويضيق به أن يضيع فى فهم عبارات لا جدوى من فهمها — إن فهمت — وكم تكون الكارثة أطم لو ظللنا على هذه الحال مع هذه النهضة المباركة ، فنحن نقف والقافلة تسير ، وويل للمتخلف

لا تزال الآثار التى يوحى بها تقديس هذه الكتب مسيطرة على أفكارنا وعلى آرائنا وعلى تقديراتنا وعلى مناهجنا ، فنحن نجيز الطالب ونمنحه شهادة دراسية يكافح بها فى الحياة لأنه حفظ شرح ابن عقيل ، أو شرح الأشمونى على الألفية . ونحن نشيد بعلم العالم لأنه لا تغيب عنه كبيرة ولا صغيرة من هذا الكتاب أوذاك ، ونحن نسأل عن فلان فيقال لنا إنه عالم جليل ، ونسأل عن علمه الجليل فيقال لنا إنه أقدر الناس على فهم الكتب الأزهرية ، وتخريج عباراتها ، وتعجب أشد العجب حين تذهب إلى هذا العالم الجليل فلا يختلف فى نظرك عن الكتاب الأصم فى شئ ، فأنت تستطيع

أن تستغنى بالكتاب عن ملاقاته والاستماع إليه ، تسأله فيدلك على موضع الجواب من الكتاب ، فإذا تخلل الجواب بيت من الشعر ، أو حكمة مأثورة لم يزد فى تعريفك بهما على موضع الشاهد منهما ، أما المعنى الأدبى للبيت أو للحكمة ، فيشرحه لك شرحا عاميا كما لو سألت جاهلا لم يطلع على شئ من كتب النحو

وهذه الأمثلة السخيفة التى تطالعك فى كل صفحة ، وتؤذى سمعك وإحساسك فى كل حين ، هى هى منذ أن وضع النحو واضعوه ! أما الشواهد فهى فى الأغلب الأعم من الشعر الركيك المتهافت ، وقد ورط القدماء فى هذا ما كانوا يعتقدونه خطأ من قولهم « البحث فى المثال ليس من دأب المحققين »

ولو كنا — حقا — نريد أن نساير النهضة ، لطرحنا هذه المؤلفات جانبا ، وكتبنا النحو العربى من جديد ، وكتبناه بأسلوب واضح أدبى ، ولتركنا الأمثلة جملة وتفصيلا ، واعتمدنا على الشواهد الفصيحة من القرآن والحديث ، والشعر والنثر ، وليس من المنطق السليم أن نعهد بهذا التجديد إلى أولئك الذين تحجرت عقولهم على القديم ، وأصبحوا لا يؤمنون إلا به ، لأنهم لا يحسنون غيره ، وهذه الحكمة البسيطة الساذجة هى التى تهدينا فى هذا السبيل (إنك لن تجنى من الشوك العنب) . بل يجب أن نعهد بهذا العمل إلى العلماء الأدباء الذين تعمقوا فى دراسة النحو العربى ولهم مع ذلك ذوق أدبى جميل ، فهؤلاء هم ضالتنا .

أما ثانى الكتابين ، فهو « تلخيص » المفتاح للخطيب القزوينى ، وما قلته عن ألفية ابن مالك هو نفسه الذى يقال عن التلخيص ، مع فارق واحد ، هو أن الأمر مع هذا التلخيص أدهى وأمر ، ذلك أنه فى علوم البلاغة ، وهذه العلوم أمس بالبيان العربى من علم النحو ، فربما لا يروعنا أن نجد العلماء والمتعلمين فى النحو لا يتذوقون الأساليب البيانية العالية ، ولا يحسنون أن يأتوا بشئ منها قل أو كثر ، ولكنه يؤسفنا أشد الأسف أن نجد الدارسين للبلاغة أبعد الناس عن تذوق البليغ من القول

والتلخيص كالألفية منذ وضع وهو قطب رحا البلاغة ، يدور حوله ، وتستهدى بضوئه مع مافى شروحه الكثيرة من خلط وخبط ، وضعف وتفكك ، فهى مملوءة بالمباحث الكلامية ، والمباحث المنطقية ، والمباحث الفلسفية ، ونصيب الذوق الأدبى منها أقل من القليل .

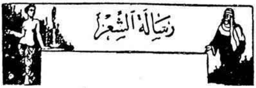
ومع ذلك فهى التى يعتمد عليها دارسو البلاغة العربية جل الاعتماد ، وما ظهر من الكتب الحديثة ليس إلا صورة من تلك الكتب ، وإن زادت عليها شيئا من الشواهد والتمارين ، لكن الطريقة القديمة والأمثلة القديمة والشواهد القديمة هى هى ، ومن عجيب الأمر أن بعض الشراح القدماء ، يعيبون بعض هذا النهج ، ولكنهم يسلكونه ، وأشد من ذلك عجبا أن يسلكه المحدثون . هذا سعد الدين التفتازانى ، وهو صاحب القدح المعلى فى الكتابة عن التخليص ، وأبيه (المفتاح) يقول عائبا طريقة السكاكى فى حشد كثير من التقسيمات فى باب التشبيه ، يقول : « واعلم أن أمثال هذه التقسيمات التى لا تتفرع على أقسامها أحكام متفاوتة ، قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج ، من السكاكى باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فلله در الإمام عبد القاهر ، وإحاطته بأسرار كلام العرب ، وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يزد فى هذا المقام على الكثير من أمثلة أنواع التشبيهات ، وتحقيق اللطائف المودعة فيها » . وما يقال عن التقسيمات فى التشبيه يقال عن كثير من التفريعات فى علوم البلاغة الثلاثة

إننى دافعت هنا فى مجلة الرسالة الغراء ، منذ سنوات عن البلاغة العربية ، وهأنذا الآن أدعو إلى نبذ هذه الكتب منها ، وليس — فى الحق — أى تناقض بين الموقفين ، فقد كنت هناك أدافع عن البلاغة كعلم عربى ألف فيه عبد القاهر والزمخشرى ، وابن سنان ، وابن الأثير ، والآمدى ، والجرجانى عبد العزيز ، وأبو هلال العسكرى ، وأنا هنا أضرب المعول فى هذه الكتب التى نهجت منهج السكاكى والخطيب فجعلت البلاغة جدلا لفظيا عقيما

وقد يتساءل متسائل ، أو تحجبك هذه الكتب التى وضعها المحدثون ، والتى تعنى بالشواهد الفصيحة ؟ والجواب : لا . فإنها كتب جوفاء ، لا غناء فيها . والذى أريده أن تدرس البلاغة العربية القديمة فى كتبها ذات الأسلوب العالى والتفكير المستقيم ثم تكتب بلغة أدبية عالية ، ويزاد فيها أو ينقص منها ، ولكن لا تخلو كتابتها من هذه اللمحات القوية التى دونها العلماء السابقون

كما أريد أن يضطلع الأزهر بهذه المهمة فإن رجاله أقدر الناس على تجديد القديم تجديداً نافعاً مفيداً؛ وأن يخفي من الدراسات المدرسية هذه الكتب التي عمت الشكوى فيها، والتي لا فائدة منها في الحقيقة إلا ضياع أوقات الطلاب سدى، وإلا إفساد أذواقهم، وحين تتغير الحال في الأزهر، سيترسم خطاه كل المعاهد العلمية في العالم العربي التي تقلده الآن فيما يقدم لأبنائه من طعام لا يسمن ولا يغني من جوع

علي العماري



نفحة نبوية

محمـــد ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

أي سحر هفا فرنم عودي وشدا مرقمي وغنى قصيدي ؟
وأحال الدجى ينابيع نور ضاحكات عن ثغر غيداء رود
ومحى غمرة الأسى والرزايا وأثار الأفراح بعد هجود
أي سحر ندى الحياة وألوى بالأماني مؤطرات القدود
فالربيع الضحوك يقفز في السهل، ويحبو على سفوح النجود
والنسيم المفهاف يعثر بالور د ويهفو كقلب صب عميد
فرحة عمت الوجود، وعيد راقص النور فاتن التغريد

* * *

يا ربى الخلد ألهميني شعراً فاتن الجرس رائع الترديد
وامنحيني كما منحت هتوفاً ترسل الشدو للضياء البديد
أنا في ليلة الهدى فاستجيبي واسكبي العطر في ثنايا نشيدي
أنا في مولد المتوج بالنور وفي غمرة الفخار العتيد
منقذ العرب من ضلالات دين لم يكن غير شقوة وقيود
عرب ألقت الجهالة سدا بين أفكارهم وبين الكبود
فأطاعوا هوى النفوس وضلوا بين أربابهم ضلال «الوليد»
كل يوم لهم إله جديد نحتوه من الصفا الجلمود
كم تمنوا الرشاد منه ولكن هو لو يعلمون غير رشيد
أو يرجى من الحجارة خير يا لنكرانهم ويا للجحود!
كيف شكوا بمبدع الكون والكون لسان يفوه بالتوحيد

* * *

أرسل الله للعوالم نورا أنقذ العرب من دياجي الجمود
أرشد الجاهلين بعد ضلال وأنار العقول بعد خمود
واستفز الشعور منهم فهبوا من خرافات جهلهم والرقود
حطموا قيدهم وثاروا أباة يسمعون الدنى زئير الأسود
ملأوا البيد بالفوارس حتى سئمت منهمو رمال البيد
والصحارى مهاد كل كمي عشق الموت في ظلال البنود

* * *

بوركت «يثرب» وبورك بيت هل فيه هلال عصر جديد
نحن لولا «محمد» وهداه لبقينا ننوء تحت القيود
هاشمي به النبوة تمت بعد «عيسى» وأشرقت بالسعود
ضحك الكون مذ أطل عليه وله همت الدنى بالسجود
والسموات أسفرت والروابي بسمت كالعروس في يوم عيد
«سدرة المنتهى نعيم وأفياء وأغرودة على أملود»
قل لمن ينكر النبوة مهلا إن رأى الضليل غير سديد
أو يحتاج عاقل لشهود وكلام الإله خير شهود

* * *

يا نبي الهدى أتيتك أشكو من حماقات عالم منكود
أشعلوا الحرب عنوة وأثاروا كل شعب منعم وسعيد
قتلوا الأبرياء في كل صقع وأراقوا الدما بكل صعيد
شردوا اللائذات من غضب القتل وراعوا أطفالهن في المهود
قوة المال قومت كل وغد فطغى في الدنى بفضل النقود

* * *

هذه الحرب قد أقامت فروقاً جددت بين سيد ومسود
ضجت الأرض والسموات منها فمتى ينجلي دخان الوقود
ومتى يغمر الهدوء البرايا ويرف السلام فوق الوجود

بغداد **عبد القادر رشيد الناصري**

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

طه حسين بين الأدب والسياسة

في خطاب من الأديب عبد اللطيف فايد يقول « كتب الأستاذ محمود عبد المنعم مراد في جريدة المصري في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٢ بعنوان « في الأدب والحياة » تعرض فيه لمؤلفات الدكتور حسين فوزي ، وقد دفعه مدح المؤلفات وصاحبها إلى اتهام الدكتور طه حسين بما هو منه برىء. إذ قال في معرض الحديث مخاطبا الدكتور حسين فوزي « أصدقاؤك الذين احترفوا الأدب وزاولوا السياسة ، وجعلوا الأدب وسيلة لتلهية الفارغين لزيدوا كتبهم انتشاراً ، كما اضطروا إلى مداراة الحاكمين والمحكومين ليصلوا إلى كراسي الحكم ، ومن هؤلاء صديقك الذي أهديت إليه كتابك الجديد الدكتور طه حسين »

وإن القارئ ليقف أمام هذا الاتهام وقد استولى عليه العجب من كل جانب ، لأنه إن جاز هذا على بعض الأدباء ، فلن يجوز على أستاذنا العميد ، وأدب العميد ليس في حاجة إلى التعريف فنقول للكاتب الفاضل إن الدكتور طه حسين لم يجعل الأدب وسيلة لتلهية الفارغين كي يضمن لكتبه الذيوع والانتشار

وأينما قرأت له وجدت الإيمان بالفكرة ، والأدب الرفيع الذي يستعصي العثور على مثله .

ثم أعود فأسأل الأستاذ مراد ألم يقرأ الأيام ومستقبل الثقافة وحديث الأربعاء وعلى هامش السيرة والوعد الحق وغيرها مما نفخر به المكتبة العربية من مؤلفات العميد ، وهل كانت هذه الكتب وسيلة لتلهية الفارغين ! !

وأود أن أقول للكاتب إن الدكتور طه حسين لم يصل إلى كرسي الوزارة عن طريق التملق ومداراة الحاكمين والمحكومين.. لأننا لم نعثر على أديب شق طريقه بكفاحه وجهاده وإنتاجه حتى وصل مرتبة سامية كالدكتور طه . ثم ماعيب الأديب إذا اشتغل بالسياسة وحافظ على مبادئ أدبه ولم يجعل منها طريقا للإثراء والغنى . والحق أن السياسة كانت دائماً في حاجة إلى جهة من الأدباء ليهذبوا حواشيها وليسخروها لإسعاد الناس

فليبحث الكاتب عن أديب آخر زاول السياسة حتى صار

وبعد فهذه كلمات اقتطفتها من رسالة الأديب عن طه حسين وليس لي بعد ذلك أن أقول شيئا ، فطه حسين كاتب وهب نفسه للأدب خالصا مجرداً ، وقد عاش لفنه مجاهداً ، باذلا من أعصابه ودمه وروحه

وكان في كل وقت المناضل المكافح ، الذي يحارب الظلم والطغيان . ويكفي أن يكون طه حسين قد اختير من بين ١٥٠ عظيما في العالم ، كأعظم شخصية في الشرق ، ويكفي أن نقدم هذا للأستاذ مراد . .

والحق أنني لست أدري ماهو وجه الشبه بين طه حسين وحسين فوزي مما يدعو إلى أن يقحم الأستاذ مراد الدكتور العميد عند الحديث عن مؤلفات حسين فوزي ؟

والعجيب أن أقرأ هذا في الوقت الذي أستمع فيه إلى حوار مع طلبة إحدى الجامعات في راديو الشرق الأدنى وقد أخذ المذيع يسأل الطلبة عن الكتب التي يقرأونها فأجاب ٨ من عشرة منهم بأنهم يقرأون كتب طه حسين ....

هل يكتب تاريخ مصر من جديد . .

كتب الأستاذ محمد عبد الله عنان في الأهرام يصف المحاولات المنظمة التي قام بها الطغاة والمستبدون ، لتحريف تاريخ مصر فقال « لقد بدأت هذه المحاولات المنظمة ، لطمس معالم تاريخ مصر الحديث في وقت مبكر ، عصر محمد على ذاته ، فطورد الجبرتي مؤرخ العصر ، وطورد مؤلفه وشوه وبترت منه صحف مما يتعلق بأعمال محمد على وتصرفاته . ومن خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ مصر وحياة الأمة المصرية لم يصدر مؤلف شامل رصين تعرض فيه الحوادث والصور على حقيقتها ، ويعرض فيه حكم الطغاة وأهواؤهم وأخطاؤهم بأسلوب نزيه حق ، وتعرض فيه حياة الشعب المصري وآلامه وكفاحه وجلده في نفس الصور الأليمة المؤثرة التي كان يحياها ، ذلك لأن الطغاة كانوا دائما بالرصاد لمن يحاول أن يجلو الحقائق النزهة ، وأن يجعل من تاريخ الأمة شيئا يذكر إلى جانب سيرهم »

وأنا أستميح المؤرخ الكبير الأستاذ عنان القول بأن مؤرخا واحداً استطاع أن يكتب تاريخ مصر فى حرية وجرأة وقوة بعد « الجبرتى » ذلك هو عبد الرحمن الرافعى

إن من يقرأ الفصل الذى كتبه عن « أحمد فؤاد » فى الجزء الثانى من كتاب « فى أعقاب الثورة » يعرف كيف استطاع الرافعى أن يقول رأيه فى صراحة كمؤرخ فى هذا الملك ، فى وقت كان الطغيان فيه قد بلغ حده ومداه ، وقد احتمل الرافعى فى سبيل ذلك عنتا كثيرا ولم يعبأ بذلك فقد كان مؤمنا بما يقول

وبعد فنحن نرجو أن يكتب الأستاذ عنان تاريخ مصر من جديد بعد أن أمضى هذا الوقت الطويل دون أن يكتب شيئا عن مصر الحديثة

حياة المازنى

... وهذه صور جديدة من الوفاء لكتاب مصر العباقرة الذين ذهبوا ، أذكر اليوم كيف حملت « الرسالة » عبء الوفاء للرافعى ، عندما كتب سعيد العريان حياة الرافعى . وظل يتلقى السهام من كل مكان

.. كنت أعلم أن الأستاذ محمد محمود حمدان قد كتب قصة المازنى بعد وفاته ، وكان قد أعد هذه الفصول لتكون كتابا ، ولكن ظروفا حالت دون نشرها ، حتى أتيح لها أن تطالع قراء الرسالة . فى نفس المكان الذى طالعتهم فصول حياة الرافعى وقد كان المازنى أحد كتاب الرسالة وأحد دعائم الأدب العربى المعاصر

القصص العالمى

كتبت إلى الآنسة «ليلى مسلم» تقول « فى صحف فرنسا الأدبية هذا الأسبوع أن لجنة مكونة من أندريه موروا وفرنسوا مورياك قد اختارت ١٢ قصة من بين ١٢٣ قصة لنشرها فى مجموعة خاصة هى :

أدولف ، الأحمر والأسود ، الخبية المزدوجة ، الأبجوريو ، مدام بوفارى ، دومنيك ، البلياد ، الطفل ، جرمنيال ، التلميذ ، سارق الأدب ، فى الطريق

وهى لكونستان ، واستندال ، ومريمى ، وبلزاك وزولا ، وبورجيه وغيرهم

وطلبت الآنسة « ليلى » أن نترجم مجلة الرواية هذه القصص لتقدمها إلى قراء العربية فى نفس الوقت الذى تقدم فيه إلى قراء الفرنسية »

ونحن بدورنا نرفع هذه الرغبة إلى صاحب الرواية

والفن

شهدت القاهرة فيلم « مصطفى كامل » ... هذا البطل الوطنى الأول .. وبقى أن نشهد أفلاما عن محمد فريد وعمر مكرم ومحمد كريم وحسن البنا ... إن مثل هذه القصص هى زاد ووحى غاية فى القوة للمصريين فى هذا العصر الجديد، الذى يعيش فيه الناس على الحقائق الوطنية وعلى المعانى الروحية الخالصة

لقد عاشت مصر طويلا ، تشهد قصصا كلها التهريج والإثم والهوان ، ويجب أن ينتهى هذا ، مع العهد المظلم الذى انتهى . .

إن المصريين الآن يستقبلون عهداً جديدا ، .. جديدا فى كل شئ ، وعليهم أن يستقبلوا معه أدبا جديدا وفنا جديدا . . أدب القوة وفن القوة ، الأدب والفن المطبوع على الحرية والحيوية والسمو والنشيد الوطنى ، يجرى الحديث هذه الأيام حول تغييره . . وهو اتجاه محمود ، إننا نريد أن نحس أننا فى عهد جديد ، فى كل شئ ، ولا نريد أن نسمع هذا الصوت الذى اتصل يوما بالطاغية ... المطرود !

ميدان جديد

دعت السفارة الباكستانية إلى مسابقة شعرية فى موضوعات أربعة

أولا : الإسلام وحدة عالية

ثانيا : رسالة الباكستان

ثالثا : محمد بن القاسم

رابعا : محمد إقبال

ولا شك أنه ميدان جديد يفتح المجال أمام شعرائنا للحديث عن الإسلام والحضارة والتاريخ ، ونحن فى أشد الحاجة من الناحية الثقافية لأن يقتحم شعراؤنا هذه الميادين الخالدة من الإنتاج بعد أن تعثرت خطواتنا طويلا فى أدب المناسبات والشعر التقليدى

أنور الجندى



أين الأدب المصري القديم

إن المطلع على الآداب القديمة على اختلاف مصادرها يجد كل أمة من الأمم غنية بتراثها الأدبي من شعر ونثر تستطيع به أن تتعرف إلى ملامح المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها — سواء كانت هذه الأمم ذات نصيب من الحضارة كالرومان والإغريق، أو كانت تغلب عليها البداوة كالأمة العربية

فإذا ما ذهبت لتبحث عن نصيب القدماء المصريين من ذلك لم تستطع أن تعثر على ما يشفي غلتك

فلن تجد ناشئا من ناشئة الأدب يعرف شاعرا مصريا قديما كما يعرف «هوميروس» وإلياذته في الأدب الإغريقي أو «فرجيل» في الأدب الروماني

. فإلى أي شيء نرد هذا ؟ أنرده إلى أنه ليس لقدماء المصريين أدب. وهذا غير معقول؛ لأنه لا يمكن أن تحيا أمة بلا أدب يترجم عن مشاعرها ويصور نوازعها . أم أن ذلك الأدب بلغ من التفاهة والعجز حدا لا يستطيع معه أن يتخطى سدود الزمن

هذا ما نرجو أن يكشف عنه المختصون مشكورين

محمد ابراهيم الجيوشي

حول الأدب والفن في أسبوع

تولى الأستاذ أنور الجندي تحرير باب « الأدب والفن في أسبوع » فانتظرنا التجديد والتطور الكبير لهذا الباب

ولكن يظهر أن الأستاذ أنور لا يعطي هذا الباب من العناية ما يستحقه

فقد كتب هذا الأسبوع تحت عنوان «ندوة الشباب المسلمين» في معرض الحديث عن المهرجانات التي أقيمت احتفالا بمولد الرسول يقول :

« فقد اشترك فيها عدد كبير من شعراء الشباب : النزالي ، وغنيمر ، وشعلان ، والعوضي ، والنشاوي ، والتهامي ، والماحي، وحمام ، والمهادين ، وجبر ، وقاسم

وأريد أن أسأل الأستاذ أنور بعد ذلك هل كان حاضرا تلك الندوة ؟ يقينا لا ! بدليل أنه لا غنيمر ولا شعلان ولا أحد المهادين تكلم إطلاقا في تلك الندوة

ومن الغريب أن الأستاذ غالى بعد ذلك قائلا « ومن القصائد التي لقيت الاستحسان قصائد غنيمر والنشاوي والتهامي» مع أن غنيمر لم يتكلم مطلقا كما قلت

أرجو من الأستاذ أنور أن يعطي هذه النواحي بعض الاهتمام كي يخرج لنا شيئا يصح أن يقرأ فيفيد لا أن يعلق ويستنتج مقتصرا بذلك على الأسماء الواردة في بطاقة الدعوة

محمود بخيت الربيعي الجهني

الباكستان أو باكستان

من غرائب هذا العهد الأخير أن قد أخذ يتزلزل فيه ما كان ثابتا متوطداً منذ القدم من قواعد النحو والبلاغة . فعادت بعض مسائل النحو مما كانت تجمع عليه العرب وتتخذ فيه مذهباً واحدا في العصور الماضية كأنف من الشمع في أيدي الكتاب، يلوونه ويمشونه كيف يشاؤون . هذا يميله إلى اليمين ، وذلك يعطفه نحو اليسار ، ثم يأتي الواحد فيتيامن به تارة ويتياسر به أخرى . من تلك المسائل مسئلة إدخال الألف واللام على الأعلام الأعجمية . فقد أصبحنا نرى أخيرا أن الكتاب والأدباء من الناطقين بالضاد يكادون لا يتفقون على مذهب فيها بعينه عند تعرضهم لذكر بعض الأعلام الأعجمية التي قد ظهرت حديثا بظهور مسمياتها إلى حيز الوجود ، ومن تلك الأعلام اسم دولتنا الناشئة : باكستان

إنا لم نزل — ولا نزال — نقرأ كلمة (باكستان) ونتتبعها فيما يكتبه الكتاب والأدباء في مختلف المجلات والجرائد العربية ، فلم نر من أمرها إلا عجبا !

في جريدة أسبوعية سيارة في القطر الجزائري ، يستعمل نائب مدير الجريدة كلمة (باكستان) فيعرفها بالألف واللام ، فيقول : (ولا نزال فن يتنقل في ربوع الباكستان) . وأما مدير الجريدة المفضال وصاحب امتيازها المسئول فلا يكتب اسم وطننا — أينما كتب — إلا مجرداً منهما وممنوعا من الصرف ، فيقول : (وانفصلت باكستان)، و(سكان البنغال وهي باكستان الشرقية) ، و (لأن باكستان هي الأول في البرنامج ...)

وفى الرسالة الغراء يتفضل الأستاذ أبو الفتوح عطيفة فيتناول القطر الباكستانى ببحثه الممتع فى سلسلة بحوثه عن جميع الأقطار ولـكنه لا يرضى أن يجعل لـكلمة (باكستان) شـكلا واحدا معيناً فى جميع المواضع من مقالاته تفادياً — على ما نظن — من سآمة القراء منه ، فتارة يسبغ عليها جبة فضفاضة من الألف واللام، وأخرى يجردها حتى تتنفس فى الهواء الطلق وتستجم من تعب الجبة

هذه بعض الشواهد على ماقلنا آنفا . فنسأل إخواننا الـكتاب والأدباء الأفاضل : لماذا هذا التشتت والاختلاف فى مسألة كانت أحرى أن تـكون موضع اتفاق للجميع !

أما مانعلم فى هذه المسألة فهو أنه من الثابت المحقق — أولا — أن باكستـان من الأعلام الأعجمية التى تمنع من الصرف أو التنوين وذلك على قاعـدة النحو القائلة بأن العلم يمنع من التنوين أو الصرف

(١) إذا كان أعجميا غير ثلاثى ساكن الوسط

(٢) إذا كان مركباً مزجيا غير مختوم بكلمة ويه

وباكستان ولا شك علم أعجمى غير ثلاثى ساكن الوسط ، كما أنها مركب تركيب المزج من (باك) و (استان) ومعنى الأول الطاهر ، ومعنى الثـانى الأرض أو البقعة ، ومعنى المركب البقعة الطاهرة . والمعلوم من عادة العرب أنها لا تعرف بالألف واللام — فى أغلب الأحوال — الأعـلام الأعجمية التى تمتنع من الصرف ، مثل لنـدن ونيويورك وأمريكا وآسـيا وليفربول وبتروغراد ودبشليم وبيدبا ... بل ترسلها مجردة منهما . وأما ماكان ينصرف من تلك الأعلام الأعجمية لـكونه ثلاثيا ساكن الوسط، فالعرب تارة تحليه بالألف واللام كالصين والهند، وأخرى ترسله عاطلا كنوح وشيث ، والأمر كله يقف على سماع القوم

هـذا من جهة قواعد النحو . والذى قد استخرجناه من كتابات اللغويين المحققين والـكتاب المتحفظين — حفظهم الله — فى هذا العصر ، أمثال الأسـتاذ أحمد حسن الزيات فى مصر ، والأستاذ محمد البشير الإبراهيمى فى الجزائر ، والأسـتاذ مسعود الندوى فى باكستان ، فهو أن كلمة (باكستان) قد أغناها الله عن التنوين وعن الألف واللام . ولا بد أن يكون عليه أساتذة العراق والشام ممن لم نطلع على استعمال (باكستان) فى كتاباتهم — ذلك ما عندنا فى هـذا الباب ، ويا حبذا لو يتفضل أحد أساطين النحو والبلاغة فى بلاد العروبة فيأتى بحكم قاطع فى هذه المسئلة ، حتى لا تبقى باكستان موضع خـلاف ونقاش بين الـكتاب والأدباء من الناطقين بالضـاد ، وهى دولة ناشئة ميمونة ينبغى أن تأتى مؤلفة بين الجميع !

بهاول بور — باكستان   **محمد كاظم سباق**

١ — من تاريخ الفقه الإسلامي

يقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف (فى ١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) : ولهذا عنى بتدوين الفقه فدون محمد بن الحسن كتب ظاهر الرواية ، ودون سحنون المدونة فى فقه مالك ، وأملى الشافعى فقهه فى كتاب الأم ، وجمع ابن قدامة فقه أحمد فى كتابه المغنى

أقول : إن ابن قدامة صاحب المغنى توفى سنة ٦٢٠ فالصواب أن الذى جمع فقه الإمام أحمد هو أبو بكر الخلال المتوفى سنة ٣١١ فى (شـذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٢ ص ٣٦١) : أنفق عمره فى جمع مذهب أحمد وتصنيفه ، وله كتاب الجـامع — لعلوم الإمام أحمد — وهو كبير جليل القدار . وفى طبقات الحنابلة لابن الفراء : رحل إلى أقاصى البلاد فى جمع مسائل أحمد .. وسبق إلى مالم يسبق إليه سـابق ولم يلحقه بعده لاحق . وقال الخطيب : جمع علوم أحمد ... ولم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحد أجمع لذلك منه . وقال الـكوثرى . بلغ ما سجله من مسائل أحمد أربعين مجلداً

٢ — من تاريخ الفقه

يقول الدكتور أحمـد أمين (١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) . ومما امتاز به (الشافعى) اهتـداؤه إلى علم الأصول ووضعه له ثم استنباط الأحكام على وفقه مما لم يصل إليه إمام آخر . ولذلك كان مذهبه أكثر المذاهب انطباقا على المنطق بعكس الأئمة الآخرين فإنهم كانوا يعتمدون على فهمهم لآيات الأحـكام وأحاديثها وكان الاستنباط كالملكات فى نفوسهم

وقال ابن العماد فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج



الـــــــدم

للكاتب الفرنسى إميل زولا

ها أنت ذى لا زلت بين أشعة الشمس وأرج الأزهار. ألم تسأمى هـذا الربيع المستمر يانينون؟ دعينى إذن أغمض جفنيك الناعستين على تلك القصة الكثيرة الهول، فإن النفس متى ملت طول النشوة قد تسكن إلى صوت الأهوال

— ١ —

فى اليوم الذى انتصر فيه الجند أخذ أربعة منهم مقاعدهم عند ركن من ميدان القتال وقد التف من حولهم الظلام وهم يتناولون طعامهم بين جثث الموتى

وكانت ألسنة اللهب التى يشوون طعامهم عليه تنعكس أشعتها على وجوههم وترسل من خلفهم ظلالا ضخمة إلى مسافات بعيدة حتى أن سيوفهم كانت تتألق من وقت لآخر تحت شرارات تلك النار، وحتى أن الناظر كان يلمح فى قلب الظلام جثث القتلى وهى نائمة جاحظة العيون

أما رفاقنا فكانوا فرحين يضحكون فى جوف الليل غير شاعرين بتلك العيون المحملقة فيهم. ولعل لهم عذراً من هول مارأوا فى يومهم الدابر، ومن الهول الذى ينتظرهم فى الغد. فأخذوا يحتفلون بتلك الساعات القليلة التى جاد بها عليهم حسن الحظ غافلين عن ظلام الليل وظلام الموت وأجنحتها التى تحلق فوق هذا الميدان فتهز سكوت الفضاء.

ولما انتهوا من طعامهم تاقت نفس أحدهم إلى الغناء واسمه « جنوص » ولكن نبرات صوته كانت تمزق غشاء الهواء القاتم الحزين، وكانت أغنيته إذا خرجت من شفتيه امتزجت بالصدى فكانت كتنهد عميق. وعند ذلك شق حجاب الظلام صرخة مزعجة دوت فى الفضاء فاضطرب حتى أنه كلف رفيقه « إلبرج » ليذهب ويرى فلعل إحدى الجثث عادت إليها الحياة. وهكذا ابتعد إلبرج على ضوء مشعل أخذه معه ورفاقه يشيعونه بعيونهم لحظة على قدر ما يسمح به امتداد الضوء فأبصروا به وقد انحنى من بعيد يسائل الموتى ويفتش بينهم بطرف سيفه ثم اختفى

وبينما هم سكوت صاح جنوص بزميله الثانى « كليريان » أن يذهب فى أثره خوفاً عليه من الذئاب

وهكذا اختفى هذا أيضا فى الظلام

أما جنوص وفيلم فبعد أن طال بهما الانتظار ارتديا معطفيهما واستسلما للنوم إلى جانب تلك النار وقد أشرفت على الانطفاء. وما كادا يغمضان أجفانهما حتى سمعا تلك الصرخة من جديد وكأنها تمر من فوق رأسيهما حتى أن فيلم انتصب فزعا واتجه إلى تلك الجهة التى اختفى عندها رفيقاه

وهكذا لبث جنوص وحده وقد أخذ شبح الخوف يتمثل لعينيه كلما وقع بصره على تلك الهوة السوداء التى كانت تدوى بحشرجة الموتى. وعندئذ ألقى فى النار بعض الحشائش اليابسة لعل اشتعالها يبدد شيئا من ذلك الرعب الذى تملكه

ولقد أخذت ألسنة اللهب ترتفع أخيرا حمراء كالدم فأضاءت

ا ص ٣٠١) : قال ابن الفرات فى تاريخه : أبو يوسف أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة. وقال : الكوثرى (فى سيرة أبى يوسف القاضى ص ٣٣) : قال طلحة الشاهد : أبو يوسف أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة، كما حدث بذلك الخطيب البغدادى. فأوليته فى وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة لاتنافى أولية الشافعى فى وضع الكتب فى أصول الشافعى، بل صنيع الشافعى فى مناقشة من تقدمه فى مسائل الأصول فى كتبه من أجلى الأدلة على أن أوليته هى بالنظر إلى مذهبه فقط. ويقول الأستاذ عبد الوهاب خلاف فى (١ — ٢٤ من مجلة الأزهر) : (أصول الفقه دون فيه أبو يوسف ولم يصل إلينا مادونه، ودون فيه الإمام الشافعى رسالته وهى أول مدون فى أصول الفقه بين أيدينا). ولا يتسع المجال هنا لبسط قواعد الاستنباط وأصوله عند الإمام النعمان وغيره من الأئمة

محمد شعبى

الأرض على مسافة مستديرة واسعة كان يخيل إليه أن حشائشها أخذت ترقص من فوقها ، وكأن أصابع خفية كانت تحرك جثث القتلى

على أن القمر أخذ بعد ذلك يظهر قرصه عند الأفق فتبدد أشعته الضئيلة مخاوف تلك الأهوال التي كان الليل يخفيها في جوفه وكانت الصحراء جرداء خالية إلا من بعض أشلاء منطرحة تحت أكفان من النور

أما جنوص الذي كان العرق يتصبب من جسمه فقد فكر في الصمود فوق رابية هناك وهو يسائل نفسه : لم لا تنتصب من مكانها أشباح أولئك الموتى وقد أخذت تحملق فيه . وهكذا أخذ جودها أيضا يرسل إلى قلبه عوامل الرعب فأغمض عينيه . وبينما هو في مكانه جامد شعر بحرارة تدب في قدمه اليسرى فانحنى ليتبين أمرها ولكنه رأى سلسالا رقيقا من الدم يعلو وينحدر بين الحصى ، ولجريانه خرير ناعم لطيف

وكان هذا السلسال يخرج من الظلام ويتلوى تحت أشعة القمر ليعود ثانية إلى الظلام ، فكان كالثعبان الملطخ ببقع سود تتتابع كالحلقات بخفة وبلا انتهاء . وعندئذ تراجع إلى خلفه وقد تمردت أجفانه فلم يستطع إطباقها من هول ما رأى . أما السلسال فأخذ يتسع مجراه حتى استحال إلى جدول ثم إلى نهير ثم إلى سيل يسمع له وهو يجرى صوت أصم وقد أخذ يقذف على جانبيه زبدا أحمر ، وأخيرا استحال إلى نهر واسع يكتسح أمامه هذه الجثث

ولكن كيف خرج كل هذا الدم الغزير من جروح أولئك الموتى حتى غمرهم ؟ وعلى كل حال فقد اضطر جنوص إلى التراجع أمام تلك اللجة الصاخبة وقد غاب عن نظره الشاطئ البعيد ، كأنما تلك الساحة المترامية الأطراف قد استحالت إلى بحيرة واسعة ، حتى خطر له أن يفر لولا أنه وجد نفسه فجأة عند كوم من الصخور وأمواج الدم ترتطم بفخذيه ، وكأنما الأشلاء التي يجرفها التيار أمامه تلعنه كلما أبصرت به في طريقها ، وكأن كل جرح من جراحها فم يزدريه ويسخر من رعبه . أما البحر الزاخر فكان يعلو ويعلو حتى بلغ صدره ، وعندئذ استجمع ما في نفسه من قوة وأخذ يتعلق بالفجوات التي بين الصخور حتى غاص إلى كتفيه والقمر الحزين الباهت ينظر كيف يبتلع هذا البحر أشعته كلما انعكست فيه ، وكأن ظلمته ودويه يخرجان من فوهة هوة سحيقة

— ٢ —

ولما بزغ الفجر عاد إلى البرج فأيقظ جنوص وكان قد ضل السبيل في الأحراج فغلبه النوم أيضاً عند شجرة حيث رأى من غريب المشاهد ما كانت صورها لا تزال عالقة بذهنه

قال : رأيت كأن العالم لا يزال في طفولته والسماء تبتسم والأرض بكر تنبت فيها السنبلة وتنمو ، حتى أن شجرة البلوط العالية عندنا لا تعد بجانبها شيئاً . والأشجار الباسقة تملأ الفضاء بأوراقها العريضة التي لا يحصيها عد ؛ والحياة تجرى صافية في شرايين الكون ؛ والماء عذب غزير حتى إذا أخذت الأشجار كفايتها منه سال بين أحشاء الصخور

وكانت الآفاق تمتد ساكنة متشعبة ، والطبيعة كالطفل يجثو عند الصباح ليحمد الله على نعمة النور وتحمده هي أيضاً بأريج الأزهار وتغريد الأطيار

كنت أراها زاهية خصبة تفيض بخيراتها من غير ما نصب ، والأشجار ذات الثمر تنمو وحدها ، وسنابل القمح تكسو جوانب الطريق كما يكسوها الآن الشوك . وكنت أستنشق الهواء فلا أشعر بأن عرق ابن آدم أخذ يتصبب فيمتزج بأنفاس السماء ، لأن الله كان يهيئ كل أسباب الحياة لخليقته

كان الإنسان كالطير يعيش مما تخرجه له الطبيعة فيأكل من ثمارها ، ويرتوى من أنهارها ، وينام إذا دجا الليل تحت أشجارها حامداً الله ؛ وقد عافت عيناه مرأى الدم ، فظل طاهراً ، ورفعته طهارته فوق جميع المخلوقات

نعم كان الوئام سائداً بين الناس ، والسلام خافقة رايته في كل مكان ؛ حتى أن الطيور ما كانت لتحرك أجنحتها فزعاً من خوف ، ولا كان البغى يدفع أحدا إلى الالتجاء إلى الغابات والأحراج ، كل له حصة من حرارة الشمس ، والجميع أسرة واحدة شريعتها المحبة

ولقد خيل إلى وأنا أمشى بين الناس أنني أصبحت أطهر وأقوى مما أنا عليه الآن ؛ وكان صدري يستنشق طويلا نسيم تلك السماء البليل بعد أن كان يستنشق نسيم جونا الفاسد ، فأشعر بنشوة الطفل وهو يصعد رويداً رويداً في الفضاء

وبينما كانت هذه الأحلام تهزني انتقل خاطري إلى غابة فوقع بصري

على رجلين يقطعان طريقاً ضيقاً تعانقت من فوقه غصون الأشجار، وكان أصغرهما متقدماً على رفيقه ووجهه يفيض بالاطمئنان ، ونظراته تداعب كل سنبلة تقع عليها عينه ، وهو بين لحظة وأخرى يلتفت إلى زميله وعلى شفتيه ابتسامة صافية لم تكن غير ابتسامة أخ

أما زميله فكان صامتا يرسل إليه وجهه المكفهر نظرات حارة ملؤها الحقد ، وهو يتعثر كلما أسرع من خلفه كأنه يقتفي أثر فريسة فرت منه

وعندئذ قطع فرعا من شجرة أخذ يسوى منه هراوة أخفاها تحت ثوبه ، ثم اندفع وراء صديقه الذي وقف ينتظره وقد أخذ يقبله عند ما اقترب منه كما يقبل الإنسان صديقاً حميما طالت غيبته عنه

وهكذا عادا إلى سيرهما وقد آذنت الشمس بالمغيب ، والفتى مسرع وهو يبصر من بعيد خطا لطيفاً أصفر عند سفح الجبل لم يكن غير تحية السماء ترسلها الشمس للطبيعة . أما صاحبه فظنه يتهرب منه ، حتى إذا التفت إليه وعلى طرف لسانه كلمة حلوة أراد أن يستر غرضه بها كانت الهراوة على وجه ذلك المسكين فهشمته

ولقد صادفت أول نقطة من دمه بعض الحشائش فنفضتها عنها إلى الأرض مرتاعة فامتصتها هذه وهى لا تقل ارتياعاً منها ؛

وقد خرج من بين أحشائها أنين مؤلم يحمل إلى السماء صوت سخطها ومقتها حيث طفح الرمل ذلك الشراب القاتل على صورة زبد خالطه دم

وما كاد القتيل يصرخ من ألم الضربة حتى تشتت الخلائق هولا ، وأخذت تهيم على وجوهها فى الأرض ، وأقوياؤها فى مفارق الطرق يصرعون الضعفاء منهم . وعندئذ أيقنت أن الكون قد بدأ فيه نذر الاضطراب والانحلال

وهكذا استعرضت عيناى مناظر هذا الاعتداء المطرد ، فكان الباشق يهوى على القبرة ، وهذه على الذبابة ، والذبابة على جروح القتلى ؛ فلم يترك الفزع أحداً من الدودة إلى الأسد كأنما قد استحالت الخليقة إلى عقرب أخذت تعض ذنبها بفمها فغابت فى ظلمة الفناء

وعلى أثر ذلك انتابت الطبيعة هزة طويلة كسرت خط ذلك الأفق الصافى ، وشوهت جمال الشفق بما اعترضه من السحب الحمراء

وكذلك البحار أخذت تضطرب بين قصيف الأمواج وهزيم الرياح من خلال الأشجار وقد التوت سيقانها وأخذت تنفض عنها كل سنة حلة أوراقها

— ٣ —

وما كاد إلبرج ينتهى من حديثه حتى ظهر كابريان وهو يقول: لست أدرى إذا كان ما سأقصه عليكم حلماً أو حقيقة ، لأن ما رأيت فى نومى يكاد يكون حقيقة ، ولأن الحقيقة من بعده تكاد تكون حلما

رأيت كأننى فى طريق يشق السكونة على جانبيه الدن والأمم تقطعه مثلى ، وهو مكسو ببلاط أسود انعقد فوقه دم كانت قدماى تنزلقان من فوق

أما الناس فقد كان الآباء منهم يتتلون بناتهن ليكون من دمائهن قربان لله ، فكانت تلك الرؤوس الفتية الجيلة تحز تحت مداهم وقد هرب لونها على أثر هذه القبلة التى كانت شفة الموت تضمها عند أعناقهن

وفى مكان آخر كان العذارى يصن عفافهن بالانتحار جاعلات من القبور الكفن لبكورهن .

وعلى مسافة من هذا المكان كنت أرى العشيقات تفيض أرواحهن تحت قبلات المحبين ، هذه تنوح ثم تسقط جثة هامدة عند الشاطئ وعيناها تنظران إلى روحها وهى تصعد حاملة معها مهجتها ، وتلك تتجرع كأس الموت على صدر رفيقها مطوقة عنقه بذراعيها تودعه الوداع الأبدى

وكذلك كنت أرى من بين الناس من سئموا الحياة وملوها فودعوها لعل أرواحهم تذوق طعم النعيم فى عالم آخر

أينما كنت أذهب كان أثر أقدام الملوك مرسوماً محفوراً على ذلك البلاط القانى ... فمنهم من كان يمشى على دم أخيه ، ومنهم من كان يسير على دم شعبه ، فتترك أقدامهم من خلفها أحرفاً ناطقة : هنا مر ملك !

أما القساوسة فكانوا يخفون السيوف فى مطاوى أثوابهم الكهنوتية وأصواتهم تعلن الحروب باسم الإنسانية وباسم الله .

كان العالم كله ثملا بخمرة البطش ، يضرب كل منهم أخاه

سيف ذى حدين ، والأرض عطشى تكرع من الدم ولا ترتوى

— ٤ —

وعند ذلك صاح جنوص لقد هلت تباشير الصباح ، ولـكن طرق آذانهم صوت بوق بعيد لم يكن غير أمر للمتفرقين من الجند بالاجتماع تحت علمهم ، فنهض الثلاثة حاملين أسلحتهم ثم ابتعدوا وهم يرسلون إلى موقدهم نظرة وداع أخيرة . غير أنهم لمحوا رفيقهم الباقى مقبلا وقدماه معفرتان بالتراب فاستوقفهم يقص عليهم ماراًه:

قال : إننى أجهل من أين أتيت لأنى كنت أعدو عدوا وكان الأشجار لجزعها تعدو مثلى حتى غلب على سلطان النـوم فنمت حيث رأيت نفسى فوق تل منفرد وقد كادت قدماى تحترقان من حرارة الشمس

وبينما أنا أثب من صخرة إلى أخرى لمحت رجلا صاعدا نحوى وعلى رأسه تاج من الشوك وعلى كتفيه معطف ثقيل والعرق يتصبب من وجهه فى حمرة الدم ، وكانت حرارة الشمس قد أثرت فى قدمى فأخذت فى الصعود حيث أنتظره تحت كل شجرة فوق التل ، حتى إذا اقترب منى وجدته يحمل صليبا ففرحت إذ عددته ملكا

ولـكن جنودا كانت تجد فى أثره وهم يهددونه بحرابهم ، حتى إذا ما أدركوه صلبوه فوق تلك الشجرة ودموعه تسيل وعلى شفتيه ابتسامة صفراء تنم عن مبلغ ما حل به من الحزن

هالنى هذا المشهد ولـكننى رأيت الرجل عظيما فى موته فتأكد لى أنه غير ملك . ولذلك أشفقت عليه وأنا أصيح بهم : اطعنوه فى قلبه حتى لايطول عذابه . وعندئذ وقفت حمامة على الصليب وأخذت تنوح ونبرات صوتها تصل إلى سمعى فتصورها لى عذراء لم تملك نفسها من البكاء ، وكأنها تقول :

« مالى أرى الدم قد صبغ اللهيب والفضاء والأشجار ؟ وما لساقى تنوصان من تحتى فى الرمل القانى ، وما لجناحى حين لمسا هذه الأغصان صبغتهما الحمرة ؟

لقد صادفت فى طريقى رجلا صالحاً فتبعته حتى إذا اغتسلت فى النبع خرجت وثوبى طاهر نقى ولذلك كنت أقول لريشى : قر عيناً فإنك فوق كتفى هذا الرجل لن تحمل هماً ولن تدنسك آثام . أما اليوم فقد أصبح نشيدى :

نوحى ياحمامة وابـكى ثوبك الذى لطخه دم من اتخذت محلك بين ثدييه . إنه جاء ليصون لك بياض ثوبك ولـكنه تحت حكم أولئك القساة بلل ريشك بندى جروحه

فأنذى أنوح على ثوبى الملطخ فأين أجد أخاك أيها المسيح ليفتح لى طرف ثوبه فأحتمى فيه ؟ ومن ذا الذى يغسل بعد الآن ريشى الذى صبغه دمك ؟ »

وكأن المصلوب كان يستمع لنواح تلك الحمامة وريح الموت تحرك جفنيه ، وسكراته تلوى شفتيه ؛ غير أن نظراته اتجهت فجأة إليها كأنها توجه لها لطيف العتاب . ثم صرخ صرخة مالت عنده رأسه إلى صدره فذعرت الحمامة وفرت ، وقد اغبر وجه السماء واهتزت الأرض ، ثم أخـذت تبتعـد حتى اختفت فى ثوب الظلام

أما أنا فأخذت أعدو وقد بزغ الفجر واستيقظت الطبيعة باسمة من خلال ضباب الصباح ، وقد اختفت زوابع الليل فعاد للسماء صفاؤها ، وعادت للأشجار نضرتها ؛ ولـكن الطريق كانت لاتزال تـكسو جانبيها الأشواك ، ولا تزال ساكنة فى فجواتها الزواحف التى كانت تقف فى طريق سيرى بالأمس . نعم إن دم المسيح جرى فى شرايين الأرض القديمة من غير أن تعود إليها نضرتها الأولى

على أن البوق كان لا يزال يسمع صوته من بعيد فصـاح جنوص فى رفاقه قائلا :

« ألم تشعروا يا أولادى بقسوة هذه المهنة ؟ لقد أزعجتكم تلك الأشباح فى نومكم كما أزعجتنى مثلـكم ساعات طويلة . إن لى الآن ثلاثين سنة لم أقضهـا فى غير قتل بنى جنسى حتى سئمت نفسى . وإننى أعرف أن هنالك أراضى واسـعة فى حاجة إلى سواعد ومحاريث ، فهلا ترون أن نتذوق بعد ذلك طعم الخـبز الذى يخرج من كدنا ؟ »

وعند ذلك صاحوا جميعا : نعم

ثم أخـذوا يهيئون حفرة يدفنون فيها سـلاحهم وبعد أن اغتسلوا فى النهر اختفوا بين ثنايا الطريق

م . خ

مطبعة الرسالة